من بلاغة اختلاف الروايات في الحديث النبوي
وأثر ذلك في إثراء المعنى
(باب التوبة) في الصحيحين أنموذجًا

دكتورة

آيات علي محمد إسماعيل إبراهيم مكي

المدرس بقسم البلاغة والنقد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقرين.

الملخـــص

تهدف هذه الدراسة إلى: بيان بلاغة اختلاف الروايات في الحديث النبوي، وأثر ذلك في إثراء المعنى **(بَاب التَّوْبَةِ)** في الصحيحين أنموذجًا، وقد انتظم البحث في: (مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهرسين)، **فأما التمهيد فقد جاء بعنوان:** اختلاف الروايات، وأسباب ذلك "الضابط والدلالة"، وجاء ذلك في: **أولًا:** المقصود بالاختلاف في اللغة واصطلاح المحدِّثين، وذكر ضربي الاختلاف، وأسبابه، **ثانيًا:** تعريف الرواية في اللغة واصطلاح المحدِّثين، وبيان شروطها، **ثالثًا:** المقصود بالتوبة، وأما المبحثان فتناولا: **المبحث الأول:** من بلاغة اختلاف الروايات في مطلع الحديث، **والمبحث الثاني:** من بلاغة اختلاف الروايات في التعبير عن المفقود حين وجد، وعن نوع الأرض التي فقد بها.

وعلى الرغم من الدراسات البلاغية التي قامت حول الحديث النبوي إلا أنه ما زال في حاجة للكشف عن أسراره؛ لذا تراءى لي أن أستخرج دُرَّةً من بحره الواسع، فجاءت هذه الدرة تحت عنوان: **(من بلاغة اختلاف الروايات في الحديث النبوي، وأثر ذلك في إثراء المعنى (بَاب التَّوْبَةِ) في الصحيحين أنموذجًا)**، وقد تعددت وسائل التعبير عن فرح المولى – عز وجل - بتوبة عبده منها: تعدد التعبير عن **(الدابة)** بتعدد الروايات التي وردت فيها، وقد دارت ألفاظها بين: **(الضالة، والراحلة، والبعير)**، كما تعدد التعبير عن نوع الأرض التي فُقدت فيها الدابة، فتنوعت ألفاظها بين قوله: **(الفلاة، الدوية المهلكة، والقفر)**، كما تعددت وسائل التعبير عن طلب الدابة، وكيفية العثور عليها، فمنهم من طلبها حين أدركه العطش، ومنهم من سعى شَرَفًا مرارًا حتى وجدها، ومنهم من طلبها حتى شقَّ عليه، ومنهم من أيس من رجوعها، وكل هذه الروايات المختلفة استقرت في عقلي وقلبي، ثم قمت بجمعها والوقوف معها، معتمدة على الصحيحين، وكتب اللغة والبلاغة.

وأما عن عدد الروايات التي حضَّت على التوبة والفرح بها، فقد بلغت **(عشر روايات)**، قمت بتحليلها، وذكر أسرارها البلاغية، مميزة كل رواية عن غيرها، وقد قامت الدراسة في هذا البحث على المنهج الوصفي التكاملي، وتوصل البحث لمجموعة من النتائج، منها: كان للأفعال الماضية الصدارة في التعبير عن فقد الدابة وكيفية العثور عليها، كما جاءت الصورة مليئة بالحركة المعبرة عن المراحل التي مرت بها أثناء البحث عنها، هذا بجانب حروف العطف التي كان لها دور في تحديد وقت الحركة وطبيعتها؛ لذا تنوعت صياغتها بالتشبيه التمثيلي والاستعارة والمجاز المرسل والكناية.

الكلمات المفتاحية اختلاف الروايات ، الحديث النبوي ، إثراء المعنى ، بَاب التَّوْبَةِ ، الصحيحين.

دكتورة

آيـــات إبـراهيـــم

قسم البلاغة والنقد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات بالقرين – جمهورية مصر العربية

ayatismail.2075@azhar.edu.eg

Abstract

Whoever looks closely at the Arab heritage and reads about Western modernity will find that this heritage is full of texts that show the existence of contact, effect and affected, and even preceded by some positions, between what was produced by the ancient Arabs and what was produced by Western modernity ,also what followed it in fields of literature and criticism .

The concept of experimentation was one of the concepts imported by the Arab modernists and presented to the Arab reader as a product of the Western modernity movement, ignoring the fact that creativity and experimentation are human behavior, as well as every nation has its own experimentation as required by its historical context and civilized location, more over according to the artistic vision and literary norms embraced by its creators and its critics ;Therefore, this research, which aims to study one of the texts of the Andalusian era, which is the Maqama marked by (Issues of criticism)by Ibn Sharaf al-Qayrawani, who died in 460 AH, was considered an experimental text of the first degree.

The research with this form aims to highlight some aspects of experimentation in the studied text and its impact on the recipient, trying to provide the reader with the conviction that the concept of experimentation was not alien to Arab writers and critics, and that our Arab heritage is full of literary and critical effects that precede the concepts of Western modernity in many positions.

Keywords: experimentation, standing, issues of criticism, Ibn Sharaf al-Qayrawani, reception..

Dr

Ayat Ibrahim

Department of Rhetoric and Criticism,
faculty of Islamic and Arabic Studies for
Girls in Al-Qurain, Al-Azhar University, Egypt.
ayatismail.2075@azhar.edu.eg

مقدمـة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الذي أرسله المولى – عز وجل - رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد،

فإن السنة هي المصدر التشريعي الثاني - من المصادر المتفق عليها لدى المسلمين - بعد كتاب الله – تبارك وتعالى-، وهي أصل من أصول الدين، ودليل من أدلة الأحكام، فقد بعث الله نبيه محمدًاﷺ بالهدى ودين الحق، فأحيا به القلوب بعد موتها، فهو المبلغ عن ربه، (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ) (المائدة ٦٧).

وهو المبين لما أنزل المولى- عز وجل-، (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ) (النحل ٤٤).

لذا كانت السنة المطهرة في مجمل أحكامها وتشريعاتها - من حيث وجوب العمل بها - بمنزلة كتاب الله – تعالى-، فما ثبت فيها فهو ثابت بوحي من الله – سبحانه - وأمر منه وتكليفٌ، (مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ

ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ (الحشر:٧).

وعليه، فالسنة حجة على المسلمين بلا خلاف، وقد أجمع علماء الأمة على حجيتها، وإذا كان الأمر كذلك فلا بد للمسلمين من الرجوع إلى ما نقل عنه ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، والأخذ بما ثبت منه ليعمل به.

وكان لعلماء الحديث اهتمامٌ بالغ في رواية السنة المطهرة، فقد بذلوا فيها جهدًا عظيمًا، وتحرَّوا الدقة البالغة، ونتج عن ذلك تعدد الروايات في الحديث الواحد نظرًا لعدة عوامل، منها: تعدد الراوي، أو تعدد المقام، أو غير ذلك.

ومع أن الدراسات البلاغية التي قامت حول الحديث النبوي غزيرة, لكن هذا الباب ما زال في حاجة للكشف عن أسراره؛ لذا تراءى لي أن أستخرج دُرَّة من بحره الواسع، فجاءت هذه الدرة بعنوان: (**من بلاغة اختلاف الروايات في الحديث النبوي، وأثر ذلك في إثراء المعنى (بَاب التَّوْبَةِ) في الصحيحين أنموذجًا).**

أسباب اختيار الموضوع:

تكمن أهمية هذا الموضوع فيما يأتي:

- ما وجدته في الصحيحين من تعدد الروايات للحديث الواحد، والذي يتطلب الوقوف على كل رواية لإظهار المعاني البلاغية المترتبة عليها.

- مع كثرة البحوث والدراسات التي دارت حول الحديث النبوي؛ إلا أن هذا الموضوع الذي اخترته لم يتناوله أحد بالدراسة البلاغية من قبل - فيما أعلم -.

أهـداف البحـث:

- الكشف عن المعاني المترتبة على كل رواية، والوقوف على اختلاف الألفاظ المعبر بها.
- إبراز ما أسهمت به الفنون البلاغية في باب اختلاف الروايات للحديث الواحد.

خطة البحـث:

أولًا : اعتمدت في دراستي على الصحيحين؛ وذلك لجمعهما الأحاديث التي قامت عليها الدراسة في موضع واحد بأسانيد متعددة.

ثانيًا: وقفت على كل رواية؛ لإظهار المعاني البلاغية المترتبة عليها.

ثالثًا: حللت كل الروايات تحليلًا بلاغيًّا وافيًا وفاءً بحق المعنى.

رابعًا: قمت بعزو الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية.

وقد جاء هذ البحث في: (مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهرسين).

فأما المقدمة: فتناولت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث ومنهجه.

وأما التمهيد فقد جاء بعنوان: اختلاف الروايات، وأسباب ذلك "الضابط والدلالة"، وجاء ذلك في:

أولاً: تعريف الاختلاف وأسبابه.

ثانيًا: تعريف الرواية وشروطها.

ثالثًا: المقصود بالتوبة.

وأما المبحث الأول فجاء بعنوان: من بلاغة اختلاف الروايات في مطلع الحديث.

وأما المبحث الثاني فجاء بعنوان: من بلاغة اختلاف الروايات في التعبير عن المفقود حين وجد، وعن نوع الأرض التي فقد بها.

وأما الخاتمة: ففيها أهم نتائج وتوصيات البحث.

منهج البحث: وقد اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي التكاملي.

ثم فهرس المصادر والمراجع، وفهرس المحتويات.

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الباحثة

التمهيد

اختلاف الروايات، وأسباب ذلك "الضابط والدلالة"

وجاء ذلك في:

أولًا: تعريف الاختلاف وأسبابه

الاختلاف في اللغة: الْخَلَفُ - بِفَتْحَتَيْنِ -: الْعِوَضُ وَالْبَدَلُ، يُقَالُ: اجْعَلْ هَذَا خَلَفًا مِنْ هَذَا، وَخَالَفْتُهُ مُخَالَفَةً وَخِلَافًا، وَتَخَالَفَ الْقَوْمُ وَاخْتَلَفُوا: إذَا ذَهَبَ كُلُّ وَاحِدٍ إلَى خِلَافِ مَا ذَهَبَ إلَيْهِ الْآخَرُ، وَهُوَ ضِدُّ الِاتِّفَاقِ، وَالِاسْمُ: الْخُلْفُ بِضَمِّ الْخَاءِ"[1].

واخْتَلَفَ: ضِدُّ اتَّفَقَ، وَمِنْه الحديثُ: "سَوُّوا صُفُوفَكُمْ، وَلاَ تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ"[2]، أَي: إذا تقدَّم بعضُهم علَى بَعْضٍ فِي الصُّفُوفِ تَأَثَّرَتْ قُلُوبُهُم، ونَشَأَ بَيْنَهُمْ اخْتِلاَفٌ فِي الأُلْفَةِ والْمَوَدَّةِ، وقِيل: أَرادَ بهَا تَحْوِيلَهَا إلى الأَدْبَارِ، وَقيل: تَغَيُّرَ صُورَتَهَا إلَى صُورَةٍ أُخْرَى[3].

الاختلاف في اصطلاح المحدثين: هو "ما اختلف الرُّوَاة فِيْهِ سندًا أو متنًا".

وبذلك يأتي الاختلاف عَلَى ضربين:

الأول: اختلاف الرُّوَاة في السند: وَهُوَ أن يختلف الرُّوَاة في سندٍ ما، زيادةً أو نقصانًا، بحذف راوٍ، أو إضافته، أَو تغيير اسم، أَو اختلاف بوصل وإرسال، أَو اتصال وانقطاع، أو اختلاف في الجمع والإفراد.

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)/١ /١٧٨،الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، مادة(خلف).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٤٣٢ و ٤٣٣)/١/٣٢١:٣٢٤.

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض،(المتوفى: ١٢٠٥هـ)المحقق: مجموعة من المحققين/٢٣/ ٢٧٥، الناشر: دار الهداية مادة(خلف).

الثاني: اختلاف الرُّوَاة في الْمَتْن: زيادة ونقصانًا، أو رفعًا ووقفًا[1].

أسباب اختلاف الروايات:

اختلاف الروايات ظاهرة لها أهمية كبيرة في علوم الحديث؛ وذلك لما تكشف عنه من الفوائد الحديثية في السند أو في المتن أو فيهما، وذلك عن طريق الباحث الناقد المتعمق في هذه الظاهرة يتبين ما وقع في الحديث من الوهم لبعض الرواة، أو ما في سنده أو متنه من قدح أو غير ذلك، كما أنها أحيانًا تكون مقوية للحديث كما في بعض أحوال زيادات الثقات في السند.

ويرجع الاختلاف بين روايات الحديث الواحد إلى عدة أسباب منها: اختلاف الراوي؛ لأن الحديث يروى بالمعنى، وذلك حينما يؤديه بلفظه لا بلفظ النبي- ﷺ - والمعنى قريب، ومنها: اختلاف المقام، فالرسول يذكر الحديث في مقام ثم يكرره في مقام آخر بمعنى آخر، ومنها أيضًا: اختلاف السائل يسأل الصحابي عن الشيء فيجاب، ثم يسأل غيره عن الشيء نفسه فيجاب بجواب مختلف، ومنها: اقتصار الراوي في مقام على رواية بعض الحديث وفي مقام آخر يرويه كله، ومنها: اختلاف الرواة في الحفظ والنسيان، فينشأ عنه زيادة ونقص، وتقديم وتأخير في الحديث.

ومن أسباب اختلاف الروايات: زيادات الثقات في السند أو المتن:

وزيادة الثقة: "هي ما يتفرد به الثقة في رواية الحديث من لفظة أو جملة والزيادة في السند أو المتن، وهذا فن مهم عني به المحدثون، وفتشوا الأسانيد والروايات وتعبوا في البحث عنه، ثم اختلفوا في حكمه اختلافًا كثيرًا حتى أخل ببحثه بعض الكاتبين، وبالنظر في التعريف نجدها تنقسم قسمين، نلخص زبدة بحثهما فيما يأتي:

---

(١) أثر اختلاف المتون والأسانيد في اختلاف الفقهاء المؤلف: الدكتور ماهر الفحل/٥،٦، الطبعة الأولى،٢٠٠٣م، دار عمار للنشر والتوزيع.

القسم الأول: "الزيادة في السند: وفيها ما يكثر من اختلاف الرواة في وصل[١] الحديث وإرساله. وكذا في رفعه ووقفه[٢]، وقد ذهب الجمهور وأكثر أهل الحديث إلى ترجيح رواية الإرسال على الوصل، وترجيح رواية الوقف على الرفع.

القسم الثاني: الزيادة في المتن: وهي أن يروي أحد الرواة زيادة لفظة أو جملة في متن الحديث لا يرويها غيره" [٣].

ثانيًا: الرواية وشروطها

"راوية الحديث: حمله، من قولهم: البعير يروي الماء، أي: يحمله، وحديث مرويٌّ، وهم رواة الأحاديث وراوها: حاملوها، كما يقال: رواة الماء، وروت القطاة فراخها: صارت راوية لها[٤].

ومن هذا النص يتبين أن معنى الرواية لغة: هو" الحمل والنقل.

---

(١) **الحديث الموصول**: هو ما اتصل إسناده مرفوعًا كان أو موقوفًا على من كان، وعلى هذا يشمل المرفوع والموقوف والمقطوع، ولا يجامع المنقطع والمعضل والمرسل والمعلق. الوسيط في علوم ومصطلح الحديث المؤلف: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ)/٢٢٢/١الناشر: دار الفكر العربي.

(٢) **الحديث المَرفُوع:** لغةً: اسم مفعول من فعل "رفع" ضد "وضع" كأنه سمي بذلك؛ لنسبته إلى صاحب المقام الرفيع، وهو النبي - ﷺ -.
واصطلاحًا: هو ما أضيف إلى النبي - ﷺ - من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة.
الحديث الْمَوقُوفُ: لغة: اسم مفعول، من "الوقف". كان الراوي وقف بالحديث عند الصحابي، ولم يتابع سرد باقي سلسلة الإسناد.
واصطلاحًا: هو ما أضيف إلى الصحابي من قول، أو فعل، أو تقرير". تيسير مصطلح الحديث، المؤلف: أبو حفص محمود بن أحمد بن محمود طحان النعيمي/١٦٠/١:١٦٢، الطبعة العاشرة: ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

(٣) منهج النقد في علوم الحديث المؤلف: نور الدين محمد عتر الحلبي/٤٢٢/١:٤٢٥، الطبعة: الثالثة ١٤١٨هـ -١٩٩٧م،الناشر: دار الفكر دمشق-سورية.

(٤) أساس البلاغة، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود/٣٩٨/١، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

وفي اصطلاح المُحدِّثين هي: "نقل الحديث وإسناده إلى من عُزِيَ إليه بصيغة من صيغ الأداء كحدثنا وأخبرنا وسمعت وعن ونحوها, والمناسبة بين المعنى الاصطلاحي واللغوي ظاهرة واضحة"(١).

شروط الرواية الصحيحة:

"تتلخص في اتصال السند، وعدالة الرواة، وضبطهم، وخلو المروي من الشذوذ، وخلوه من العلة، والعلة هي السبب الخفي الذي يقدح في صحة الحديث، وقد يكون راجعًا إلى سنده أو إلى متنه أو إليهما معًا"(٢).

وهناك شروط ترجع إلى الراوي:

وله شروط أوجزها السيوطي في كتابه تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، فقال: "أَجْمَعَ الْجَمَاهِيرُ مِنْ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ عَلَى أَنَّهُ يُشْتَرَطُ فِيهِ - أَيْ: مَنْ يُحْتَجُّ بِرِوَايَتِهِ - أَنْ يَكُونَ عَدْلًا ضَابِطًا لِمَا يَرْوِيهِ، وَفُسِّرَ الْعَدْلُ بِأَنْ يَكُونَ مُسْلِمًا بَالِغًا عَاقِلًا، فَلَا يُقْبَلُ كَافِرٌ، وَمَجْنُونٌ مُطْبِقٌ بِالْإِجْمَاعِ، وَمَنْ تَقَطَّعَ جُنُونُهُ، وَأُثِرَ فِي زَمَنِ إِفَاقَتِهِ، وَإِنْ لَمْ يُؤْثَرْ قَبْلُ، قَالَهُ ابْنُ السَّمْعَانِيِّ، وَلَا صَبِيٌّ عَلَى الْأَصَحِّ"(٣).

---

(١) الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، المؤلف: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ) /٣٩/١،الناشر: دار الفكر العربي.

(٢) الضوء اللامع المبين عن مناهج المحدثين، المؤلف: أحمد محرم الشيخ ناجي،ج١٠٧/١،الطبعة: الخامسة.

(٣) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي/٣٥٢/١، الناشر: دار طيبة.

وشروط ترجع إلى المرويّ، وهي: أن تكون بإحدى طرق التحمل، ومجامعها ثمانية، وهي: السماع، والقراءة، والعرض، والإجازة، والمناولة، والمكاتبة، والإعلام، والوصية، والوجادة"[١].

ثالثًا: المقصود بالتوبة:

قَالَ الْجَوْهَرِي: "التَّوْبَة: الرُّجُوع من الذَّنب، وَكَذَلِكَ التَّوْبُ، وَقَالَ الْأَخْفَش: التَّوْبُ: جمع تَوْبَة، وَتَابَ إِلَى الله تَوْبَة ومتابًا، وَقد تَابَ الله عَلَيْهِ: وَفَّقه لَهَا، واستتابه: سَأَلَهُ أَن يَتُوب".

وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ: "اخْتلف عِبَارَات الْمَشَايِخ فِيهَا، فقائل يَقُول: إِنَّهَا النَّدَم، وَقَائِل يَقُول: إِنَّهَا الْعَزْم على أَن لَا يعود، وَآخر يَقُول: الإقلاع عَن الذَّنب، وَمِنْهُم من يجمع بَين الْأُمُور الثَّلَاثَة، وَهُوَ أكملها"[٢].

وَقَالَ ابْن الْمُبَارك: حَقِيقَة التَّوْبَة لَهَا سِتّ عَلَامَات: النَّدَم على مَا مضى، والعزم على أَن لَا يعود، وَيُؤَدِّي كل فرض ضيعه، وَيُؤَدِّي إِلَى كل ذِي حق حَقه من الْمَظَالِم، ويذيب الْبدن الَّذِي زينه بالسحت وَالْحرَام بالهموم وَالْأَحْزَان حَتَّى يلصق الْجلد بالعظم، ثمَّ ينشأ بَينهمَا لَحْم طيب إِن هُوَ نَشأ، وَيُذِيق الْبدن ألم الطَّاعَة كَمَا أذاقه لَذَّة الْمعْصِيَة، **وَقَالَ قتادَةُ:** تُوبُوا إِلَى الله تَوْبَةً نَصُوحًا: الصَّادِقَةُ النَّاصِحَةُ"[٣].

---

(١) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ،ج١/٤٨١:٤٨٧.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)/٢٢ /٢٧٩،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال، المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)،تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم/١٠/٨١،٨٠، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م،دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض.

نص الدراسة في الصحيحين [1]

قال الإمام البخاري في صحيحه (بَابُ التَّوْبَةِ):

٦٣٠٨- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا أَبُو شِهَابٍ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنِ الحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ حَدِيثَيْنِ: أَحَدُهُمَا عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَالآخَرُ عَنْ نَفْسِهِ، قَالَ: «إِنَّ المُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ» فَقَالَ بِهِ هَكَذَا، قَالَ أَبُو شِهَابٍ بِيَدِهِ فَوْقَ أَنْفِهِ، ثُمَّ قَالَ: "لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلًا وَبِهِ مَهْلَكَةٌ، وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ نَوْمَةً، فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ، حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الحَرُّ وَالعَطَشُ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ، قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي، فَرَجَعَ فَنَامَ نَوْمَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ " تَابَعَهُ أَبُو عَوَانَةَ، وَجَرِيرٌ، عَنِ الأَعْمَشِ، وَقَالَ أَبُو أُسَامَةَ: حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، حَدَّثَنَا عُمَارَةُ، سَمِعْتُ الحَارِثَ، وَقَالَ شُعْبَةُ: وَأَبُو مُسْلِمٍ اسْمُهُ عُبَيْدُ اللَّهِ كُوفِيٌّ، قَائِدُ الأَعْمَشِ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنِ الحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ، وَقَالَ أَبُو

---

(١) نص الدراسة: من كتاب المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله -ﷺ-، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي/٤/٢١٠٢من ص٢١٠٢:٢١٠٥ الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

ومن كتاب الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسننه وأيامه صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر/٨/ ٦٧:٦٨الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ،الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي).

مُعَاوِيَةَ: حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، عَنْ عُمَارَةَ، عَنِ الأَسْوَدِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنِ الحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ(١).

٦٣٠٩ ـ حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، أَخْبَرَنَا حَبَّانُ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ح وحَدَّثَنَا هُدْبَةُ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «اللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ، سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضٍ فَلاَةٍ»(٢).

وقال الإمام مسلم في صحيحه: (بَابٌ فِي الْحَضِّ عَلَى التَّوْبَةِ وَالْفَرَحِ بِهَا):

١ ـ (٢٦٧٥) حَدَّثَنِي سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ مَيْسَرَةَ، حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: " قَالَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ-: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي، وَاللهِ لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلَاةِ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أُهَرْوِلُ "(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الدعوات، باب التوبة، (٨/ ٦٨،ح رقم: ٦٣٠٨) بلفظه، ومسلم في صحيحه: كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها بنقص في أوله، (٢١٠٣/٤،ح رقم ٢٧٤٤)، والترمذي في جامعه: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب (غُفل)، (٦٥٩/٤، ح رقم: ٢٤٩٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، (٨/ ٦٨ح رقم: ٦٣٠٩) بلفظه، ومسلم في صحيحه،(٢١٠٥/٤،ح رقم ٢٧٤٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة، (١٢١/٩،ح رقم:٧٤٠٥) بنحوه، ومسلم في صحيحه: كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، (٢١٠٢/٤،ح رقم ٢٦٧٥) بلفظه.

٢- (٢٦٧٥) حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ قَعْنَبٍ الْقَعْنَبِيُّ، حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ - يَعْنِي: ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِزَامِيَّ -، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِكُمْ بِضَالَّتِهِ إِذَا وَجَدَهَا»(١).

٢- وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِمَعْنَاهُ.

٣- (٢٧٤٤) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ - وَاللَّفْظُ لِعُثْمَانَ، قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وقَالَ عُثْمَانُ: حَدَّثَنَا - جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ اللهِ أَعُودُهُ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَحَدَّثَنَا بِحَدِيثَيْنِ: حَدِيث عَنْ نَفْسِهِ، وَحَدِيث عَنْ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، يَقُولُ: " لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلِكَةٍ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ، فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ، ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِيَ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَاللهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ"(٢).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، (٢١٠٢/٤،ح رقم ٢٦٧٥) بلفظه، والترمذي في جامعه: أبواب الدعوات، باب (غُفل)، (٥٤٧/٥، ح رقم: ٣٥٣٨)، وابن ماجه في سننه: كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، (١٤١٩/٢، ح رقم:٤٢٤٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الدعوات، باب التوبة، (٨/ ٦٨،ح رقم: ٦٣٠٨)، ومسلم في صحيحه: كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، (٢١٠٣/٤،ح رقم ٢٧٤٤) بلفظه، والترمذي في جامعه: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب (غُفل)، (٦٥٩/٤،ح رقم: ٢٤٩٨).

٣- وَحَدَّثَنَاهُ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ، عَنْ قُطْبَةَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنِ الْأَعْمَشِ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَقَالَ: «مِنْ رَجُلٍ بِدَاوِيَّةٍ مِنَ الْأَرْضِ»(١).

٤- (٢٧٤٤) وحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، حَدَّثَنَا عُمَارَةُ بْنُ عُمَيْرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَارِثَ بْنَ سُوَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ حَدِيثَيْنِ: أَحَدُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَالْآخَرُ عَنْ نَفْسِهِ، فَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ» بِمِثْلِ حَدِيثِ جَرِيرٍ(٢).

٥- (٢٧٤٥) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَبُو يُونُسَ، عَنْ سِمَاكٍ، قَالَ: خَطَبَ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ، فَقَالَ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ حَمَلَ زَادَهُ وَمَزَادَهُ عَلَى بَعِيرٍ»، ثُمَّ سَارَ حَتَّى كَانَ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَأَدْرَكَتْهُ الْقَائِلَةُ، فَنَزَلَ، فَقَالَ: تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَغَلَبَتْهُ عَيْنُهُ، وَانْسَلَّ بَعِيرُهُ، فَاسْتَيْقَظَ فَسَعَى شَرَفًا فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، ثُمَّ سَعَى شَرَفًا ثَانِيًا فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، ثُمَّ سَعَى شَرَفًا ثَالِثًا فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، فَأَقْبَلَ حَتَّى أَتَى مَكَانَهُ الَّذِي قَالَ فِيهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ قَاعِدٌ إِذْ جَاءَهُ بَعِيرُهُ يَمْشِي، حَتَّى وَضَعَ خِطَامَهُ فِي يَدِهِ، فَلَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ، مِنْ هَذَا حِينَ وَجَدَ بَعِيرَهُ عَلَى حَالِهِ، قَالَ سِمَاكٌ: فَزَعَمَ الشَّعْبِيُّ أَنَّ النُّعْمَانَ رَفَعَ هَذَا الْحَدِيثَ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَأَمَّا أَنَا فَلَمْ أَسْمَعْهُ(٣).

٦- (٢٧٤٦) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، وَجَعْفَرُ بْنُ حُمَيْدٍ - قَالَ جَعْفَرٌ: حَدَّثَنَا، وقَالَ يَحْيَى: أَخْبَرَنَا - عُبَيْدُ اللهِ بْنُ إِيَادِ بْنِ لَقِيطٍ، عَنْ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب التوبة، (٢١٠٣/٤،ح رقم ٢٧٤٤) بلفظه.
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: (٢١٠٣/٤،ح رقم ٢٧٤٤) بلفظه.
(٣) السابق: (٢١٠٣/٤،ح رقم ٢٧٤٥) بلفظه.

إِيَادٍ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَيْفَ تَقُولُونَ بِفَرَحِ رَجُلٍ انْفَلَتَتْ مِنْهُ رَاحِلَتُهُ تَجُرُّ زِمَامَهَا بِأَرْضٍ قَفْرٍ لَيْسَ بِهَا طَعَامٌ وَلَا شَرَابٌ، وَعَلَيْهَا لَهُ طَعَامٌ وَشَرَابٌ، فَطَلَبَهَا حَتَّى شَقَّ عَلَيْهِ، ثُمَّ مَرَّتْ بِجِذْلِ شَجَرَةٍ فَتَعَلَّقَ زِمَامُهَا، فَوَجَدَهَا مُتَعَلِّقَةً بِهِ؟» قُلْنَا: شَدِيدًا، يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أَمَا وَاللهِ لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ، مِنَ الرَّجُلِ بِرَاحِلَتِهِ»[1]، قَالَ جَعْفَرٌ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ إِيَادٍ، عَنْ أَبِيهِ.

٧ - (٢٧٤٧) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ وَهُوَ عَمُّهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: " لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ"[2].

٩ - (٢٧٤٧) حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ إِذَا اسْتَيْقَظَ عَلَى بَعِيرِهِ، قَدْ أَضَلَّهُ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ»[3].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب التوبة، (٤/٢١٠٤،ح رقم ٢٧٤٦) بلفظه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الدعوات، باب التوبة، (٨/ ٦٨،ح رقم: ٦٣٠٩) مختصرًا، ومسلم في صحيحه: كتاب التوبة، (٤/٢١٠٤،ح رقم ٢٧٤٧) بلفظه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الدعوات، باب التوبة، (٨/ ٦٨،ح رقم: ٦٣٠٩)، ومسلم في صحيحه: كتاب التوبة، (٤/٢١٠٥،ح رقم ٢٧٤٧) بلفظه.

١٠ - وحَدَّثَنِيهِ أَحْمَدُ الدَّارِمِيُّ، حَدَّثَنَا حَبَّانُ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِمِثْلِهِ.

يدور الحديث القدسي والنبوي - بكل رواياته حول الحض على التوبة، فقد ذكر أنس - رضي الله عنه - أن الرسول ﷺ قال: **(لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ)**، وذكر القصة: أنه كان رجل بأرض فلاة، ليس حوله أحد لا ماء ولا طعام ولا أناس..، انفلتت راحلته، فجعل يطلبها فلم يجدها، فذهب إلي شجرة ونام تحتها ينتظر الموت! قد أيس من راحلته، وأيس من حياته؛ لأن طعامه وشرابه عليها، فبينما هو كذلك إذا بناقته عنده قد تعلق خطامها بالشجرة التي هو نائم تحتها، فبأي شيء يقدر هذا الفرح؟ هذا الفرح لا يمكن أن يتصوره أحد إلا من وقع في مثل هذه الحال!!؛ لأنه فرح عظيم، فرح بالحياة بعد الموت، ولهذا أخذ بالخطام فقال: **(اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ)**، أراد أن يثني على الله فيقول: **(اللهم أنت ربي وأنا عبدك)**، لكن من شدة فرحه أخطأ، فقلب القضية، وقال: **(اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ)**.

وهذا الحديث يبين رضا المولى - عز وجل - بتوبة عبده إذا تاب إليه، وأنه يفرح بذلك- سبحانه- فرحًا شديدًا، ولكن لا لأجل حاجته إلي أعمالنا وتوبتنا؛ فالله غني عنا، ولكن لمحبته –سبحانه- للكرم؛ فإنه يفرح ويغضب، ويكره ويحب، لكن هذه الصفات ليست كصفاتنا[1]؛ لأنه قال في كتابه العزيز: **(فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡۚ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ)**(الشورى: من الآية١١).

(١) شرح رياض الصالحين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين(المتوفى: ١٤٢١هـ)، ١٠١/١/, الطبعة: ١٤٢٦ هـ، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض.

"بل هو فرح يليق بعظمته وجلاله، ولا يشبه فرح المخلوقين، كما دلّ على أن الإنسان إذا أخطأ في قول من الأقوال ولو كان كفرًا سبق لسانه إليه فإنه لا يؤاخذ، فهذا الرجل قال كلمة كفر؛ لأن قوله سبق اللسان به: (**اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ**) هذا كفر لا شك، لكن لما صدر عن خطأ من شدة الفرح صار غير مؤاخذ به، فإذا أخطأ الإنسان في كلمة وقال كلمة كفر؛ فإنه لا يؤاخذ بها، وكذلك غيرها من الكلمات؛ لو سب أحدًا على وجه الخطأ دون قصد، فهذا لا يترتب عليه شيء؛ لأن الإنسان لم يقصده، فهو كاللغو في اليمين، **(لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ) (البقرة: من الآية٢٢٥).**

بخلاف المستهزئ فإنه يكفر إذا قال كلمة الكفر ولو كان (**مستهزئا؛ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ) (التوبة: من الآية٦٥).**

فالمستهزئ قصد الكلام، وقصد معناه؛ لكن على سبيل السخرية والهزء؛ فلذلك كان كافرًا، بخلاف الإنسان الذي لم يقصده؛ فإنه لا يعد قوله شيئًا وهذا من رحمة المولى - عز وجل-"[1]

(١) السابق /١٠٣/١.

المبحث الأول

من بلاغة اختلاف الروايات في مطلع الحديث

يبين الحديث الشريف برواياته المختلفة رضا المولى - عز وجل - عن توبة عبده، فعَنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: قال اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ- في حديثه القدسي: **(أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي)** يعني: إن ظن العبد أن الله يعفو عنه ويغفر له فله ذلك، وإن ظن العقوبة والمؤاخذة فكذلك، بل يكون - سبحانه- أشد فرحًا بتوبته من الذي انفلتت منه راحلته ثم التقى بها "أي: أنه يفرح بتوبة عبده المؤمن أشد من أي فرح في الدنيا، قال النبي -عليه الصلاة والسلام -:(**لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا**)، فأتى بلام الابتداء والتوكيد؛ ليؤكد فرح المولى – عز وجل – بهذه التوبة، فهو أشد فرحًا بتوبة عبده ممن كان معه راحلته عليها طعامه وشرابه، وقد فقدها في أرض فلاة، ما حوله أحد، فطلبها فلم يجدها، فيئس من الحياة، فاضطجع تحت شجرة ينتظر الموت، فإذا بزمام الناقة فقام وأخذه، فالله أشد فرحًا بتوبة الإنسان من هذا الرجل براحلته، وهذا الفرح لا يمكن أن يدركه إنسان، ولا يصفه حال رجل مقبل على الموت، فاقد طعامه وشرابه وناقته، فإذا بها عنده لا يمكن أن يتصور إنسان شدة هذا الفرح، فالله - عز وجل - أشد فرحًا بتوبة العبد من هذا بناقته"[1].

(١) شرح رياض الصالحين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)/٥/،/٦/١٨٩، ٣٢٤،الطبعة: ١٤٢٦ هـ، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض.

اتفقت الروايات في الابتداء بالأسلوب الخبري، باستثناء الرواية السادسة، فالرواية الأولى بدأت بأسلوب خبري تمثل في الجملة الاسمية، حيث قال: عَنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ، قال اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ- في حديثه القدسي: **(أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي)**، وجاء المسند إليه معرفًا بضمير التكلم؛ لتمييزه أكمل تمييز؛ ولأن المقام مقام وعد بالعفو في قوله: **(أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي)**، كما أنه أنسب وسائل التعريف لبيان المقصود من الكلام؛ وذلك لأن المولى – عز وجل - أراد أن يذكر عبده بصدق وعده له بالعفو عنه إذا أحسن ظنه به، والغرض من التعريف هو: تقوية الخبر وتأكيده، وتقريره في نفس السامع حتى يبلغ به عين اليقين ويبادر بالتوبة، وتكرار الضمير (**أنا**) بين لنا أنه – سبحانه - قادر على أن يفعل بالعبد ما ظن أنه فاعل به، كما أن فيه إشارة إلى ترجيح قبول التوبة على العقوبة والمؤاخذة، فيجب على الإنسان إذا سمع ذلك القول أن لا يفكر في إيقاع الوعيد به، بل يفكر في وقوع الوعد بالعفو عنه، ثم جاء بالفعل المضارع (**يَذْكُرُنِي**) الذي يفيد التجدد والحدوث، أي: تجدد ذكر العبد لربه، ففي الذكر طمأنينة وعصمة من اقتراف المعاصي.

وأيضًا بدأت الرواية الثالثة بأسلوب خبري تمثل في الفعل الماضي، حيث قال الراوي: **(دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ اللهِ أَعُودُهُ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَحَدَّثَنَا بِحَدِيثَيْنِ: حَدِيث عَنْ نَفْسِهِ، وَحَدِيث عَنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-)**، مما يدل على تحقق زيارته له في زمن مضى، ثم أتبعه بالفعل المضارع، والقصر بضمير الفصل (**هُوَ**)؛ لتخصيص المسند إليه بالمسند في قوله: (**أعوده وَهُوَ مَرِيضٌ**)، ولاستحضار الحالة التي

كان عليها عبد الله حين دخل عليه، وبيان الهدف من زيارته له، والفعل المضارع "هو أقدر الصيغ على تصوير الأحداث؛ لأنها تحضر مشهد حدوثها، وكأن العين تراها وهي تقع"(١).

ثم أتبعه بأحد حروف العطف وهو الفاء في قوله: **(فَحَدَّثَنَا)**، وهو يدل على أنه عقب دخوله عليه حدثه بحديثين، فليس بينهما فاصل زمني؛ وذلك لأن الفاء" تطوي من الزمن ما لا يمكن تقديره بغير الإحساس في الفترة ما بين الحدثين"(٢)، ثم أتبعه بالتوشيع (٣)، وهو من أنواع الإطناب في قوله: (**بِحَدِيثَيْنِ: حَدِيث عَنْ نَفْسِهِ، وَحَدِيث عَنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-**)، فالمثنى **(بِحَدِيثَيْنِ)** فسر بحديث عن نفسه، والمعطوف عليه وهو الحديث الوارد عن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وهما بيان للمثنى.

ومثلها رواية الإمام البخاري في صحيحه، حيث إن الراوي قد حدثهم بحديثين، لكنه في هذه الرواية قدم حديث النبي – ﷺ - على حديث نفسه، فقال: **"حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا أَبُو شِهَابٍ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنِ الحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، حَدِيثَيْنِ: أَحَدُهُمَا عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،**

(١) خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني أ د محمد أبو موسى/٢٠٦ ط٨, ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، مكتبة وهبة القاهرة.

(٢) من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم الفا وثم. أ د محمد الأمين الخضري/٥١، ط١، ١٩٩٣م, مكتبة وهبة.

(٣) التوشيع: هو أن يؤتى في عجز الكلام بمثنى مفسر باسمين أحدهما معطوف على الآخر، وهو نوع من أنواع الإطناب، الإيضاح بتعليق البغية لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، المؤلف: عبد المتعال الصعيدي (المتوفى: ١٣٩١هـ)/٣٤٧/٢، الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، الناشر: مكتبة الآداب.

وَالآخَرُ عَنْ نَفْسِهِ، قَالَ: «إِنَّ المُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ»، واتفقت الروايتان في الابتداء بالأسلوب الخبري، إلا أن رواية الإمام مسلم قد افتتحت بالجملة الاسمية مسبوقة بـ **(لام)** الابتداء والتوكيد؛ لتوكيد الخبر في قوله: **(لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ)**، بينما افتتحت رواية الإمام البخاري بالجملة الاسمية مسبوقة بـ **(إن)** التوكيدية لتوكيد الاسم، وذلك لرغبة المتكلم في تقوية مضمون الكلام عند المخاطب، وتقريره في نفسه وإن كان غير منكر له ليبلغ به اليقين ولا ينتابه شك فيما سمعه؛ حيث إن الحديث عن التوبة والترغيب فيها هي المقصودة والأهم وموضع العناية للإقناع بها، فالمؤمن يستكثر ذنوبه، ويخاف منها خوفًا شديدًا، ولو كانت من الصغائر، فإذا وقع في شيء منها تملكه الرعب كأنه قاعد تحت جبل عظيم يوشك أن يقع عليه، وإن الفاسق الفاجر المستصغر لذنوبه ولا يخاف منها ولو كانت من الكبائر يراها يسيرة كذباب مرّ على أنفه.

لذا شبه حال المؤمن المستثقل لذنوبه بحال قاعد تحت جبل عظيم يخاف أن يقع عليه فيهلكه، وذلك للمبالغة في استشعار عظم الذنوب وثقلها على قلب المؤمن، كما شبه حال الفاجر المستهتر بذنوبه حتى يرى كبائر الذنوب يسيرة بذباب وهو - أضعف مخلوقات الله وأحقرها - مرّ على أنفه، فأشار بيده فذهب الذباب ولم يؤثر فيه لا لخفة ذنوبه وإنما لضعف إيمانه بالله، وكنى بذلك عن عدم اكتراث الفاجر بذنبه.

ولا يخفى ما للفعل المضارع، واسم الفاعل، والمقابلة بين الجملتين من أثر في توضيح الصورة في قوله: **(إِنَّ المُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ**

كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ)، حيث أفاد الفعل المضارع استحضار الصورة التي يكون عليها المؤمن والفاجر عند اقتراف الذنب، كما أفاد التجدد والحدوث أي تجدد رؤية المؤمن لذنوبه ودوام خوفه من عواقبها، وتجدد رؤية الفاجر لذنوبه وعدم الاهتمام بها ولا بما يترتب عليها من هلاك بسب اقترافها، فالفعل المضارع هو أقدر الصيغ على تصوير الأحداث وكأننا نشاهدها بأعيننا ونسمعها بآذاننا.

وقد اتضح من خلال المقابلة الفرق بين المؤمن الذي يستكثر ذنوبه ولو كانت من الصغائر، والفاجر الذي يستصغر ذنوبه ولو كانت من الكبائر، وشتان بين شدة خوف المؤمن من الله- سبحانه-، واستعظامه لصغائر الذنوب حتى يراها كالجبل الشامخ يخاف أن يقع عليه فيهلكه، وبين فسوق الفاجر وعدم اكتراثه بالذنوب ولو كانت كبائر؛ لأنه يراها كالذباب يمر على وجهه فلا يلقي لها بالًا.

واتفقت بقية الروايات في الابتداء بالأسلوب الخبري المتمثل في الجملة الاسمية المسبوقة بـ **(لام)** الابتداء والتوكيد في قوله: **(لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ - لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ - لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ)**، فـ **(اللام)** للابتداء ولفظ الجلالة مبتدأ، و**(أشد)** خبر، وذلك للترغيب في التوبة، وبيان سرعة قبولها عند المولى - عز وجل -، وليؤكد ما يهدف إليه الحديث من إثارة عواطف وانفعالات المخاطبين، وتشويقهم إلى التوبة.

وإطلاق الفرح على الله – تعالى- في قوله: **(لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا)**، كناية عن رضاه، فالفرح الذي من صفاتنا محال على الله – تعالى-، وعبر بالفرح لاستلزامه الرضا بعلاقة اللزومية وهي إحدى علاقات المجاز المرسل، أو من قبيل المشاكلة وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في

صحبته، وقد أفادت الكناية تأكيد معنى الرضا في نفس السامع، والمبالغة في تقريره.

واستخدم - ﷺ - ضمير الخطاب في قوله: **(أَحَدِكُمْ)** في الرواية الثانية، حيث قال: **(لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ، مِنْ أَحَدِكُمْ)** لبث الطمأنينة في نفوسهم، وهذا أنسب للغرض المقصود من الكلام وهو حث المخاطبين على التوبة، فالمخاطب معلوم موجود في مجلسه موجه إليه رضا المولى –عز وجل- عن توبته، كما أن ضمير الخطاب فيه تثبيت وتأكيد للحاضرين ليبلغوا غيرهم، وفيه مواجهة «تُوقظ النّفس من الغفلة، وتَشُدُّهَا فتلتفت إلى المتكلِّم، وهي مستعدةٌ لتلقّي ما يصدر عنه من أمر أو نهي أو عتاب»(١).

كما أن في تكرار لفظ **(أَحَدِكُمْ)** تأكيد وتوثيق لمضمون الكلام، وهو من صور الإطناب البليغ الذي استدعاه المقام وتطلبه السياق، ليؤكد للصحابة -رضوان الله عليهم – سرعة قبول توبة العبد حين يتوب لربه، وهذه الصورة من الأساليب النبوية التي يستخدمها الرسول ﷺ في توصيل الحقائق إلى أصحابه - رضوان الله عليهم- لترسخ في وجدانهم، ولتتمكن في أذهانهم.

والتفت الرسول- ﷺ- من الخطاب إلى الغيبة، لإيقاظ السامع وتجديد نشاطه، وحدد في الرواية الثالثة والرابعة العبد الذي يتحدث عنه وهو العبد المؤمن؛ وذلك لأن نص الحديث فيهما واحد، حيث قال: **(لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ)**؛ وذلك لأن المؤمن عظيم الخوف من ربه في كل ذنب ارتكبه صغيرًا كان أو كبيرًا، فالله – سبحانه -

(١) لبّ البلاغة أ د/ بسيوني عرفة رضوان/١٤٢ (ط دار الرّسالة للطّباعة).

يحاسب على الذنب ولو كان قليلًا، وعلى المؤمن أن يبادر بالتوبة إلى الله – تعالى - ولو قَلَّ ذنبه في عينه، وحينها يقبل عليه – سبحانه - بقبولها منه، والالتفات من محاسن الكلام، ووجه حسنه: "أن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وأكثر إيقاظًا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد"(١).

كما أن المتحدث عنه في باقي الروايات عام، حيث قال: **(عَبْدِهِ)**، فانتقل السياق أيضًا من ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة، ليشمل كل عباده لا يختص به أحد دون الآخر، فالكل فيه سواء؛ وليبين أن التوبة فرض على كل عبد من أمته، كما أن الالتفات فيه تجديد يلفت الانتباه ويثير الذهن وذلك أدعى لنشاط السامع، فأراد – ﷺ - أن يلفت انتباه الحاضرين ويحثهم على التوبة، ويرغبهم فيها.

ويعود إلى ضمير الخطاب مرة أخرى في الرواية السادسة، فقد بدأت بأسلوب إنشائي طلبي تمثل في الاستفهام التعجبي المقترن بالتشويق لما سيلقى عليهم؛ وذلك لأهميته البالغة، حيث قال:" «**كَيْفَ تَقُولُونَ بِفَرَحِ رَجُلٍ؟**"، فالاستفهام مفعم بالتعجب والدهشة، ولم لا والنبي- ﷺ- بشر يتعجب كغيره من بني البشر، كما جاء التعبير في الجملة الإنشائية بالفعل المضارع **(تَقُولُونَ)**؛ لاستحضار مشهد فرح الرجل براحلته في أذهان المخاطبين، كي يتفاعلون معه بجميع حواسهم، وكأن المشهد واقع أمام أعينهم، وليؤكد تحقق وعد الله لهم بقبول التوبة مهما كثرت الذنوب ليقلعوا عنها.

تعقيب:

(١)الإيضاح بتعليق البغية/١، ص١٤٢.

تبين من خلال دراسة (بلاغة اختلاف الروايات في مطلع الحديث) أنها قد بدأت بالأسلوب الخبري، وكان الغرض منه تأكيد وتمكين الكلام، وتقريره في نفس السامع، باستثناء الرواية السادسة في صحيح مسلم التي بدأت بأسلوب إنشائي طلبي تمثل في الاستفهام التعجبي المقترن بالتشويق لما سيلقى عليهم، وكلتا الجملتين الخبرية والإنشائية "تنقل حاجة النفس إلى توفيق المخاطب، لكن الجملة الخبرية أكثر إلحاحًا في هذه الرغبة، وكأنها لقوة إحاطتها بالنفس، أوهمت أن التوفيق وقع والمتكلم يخبر عن هذه الحالة"[1].

وقد ناسب اختلاف الروايات مطلع الحديث، مصحوبة بالإيجاز والإيضاح والتصوير الذي يأخذ بالعقول والألباب، ويؤثر في النفوس لتستشعر كرم ربها وعفوه، فتجدها متلهفة بعد أن كانت مترددة في التوبة والإنابة إلى الله - تبارك وتعالى -.

كما بينت الرواية الأولى أن الله يغفر لعبده إذا استغفره، ويجيبه إذا دعاه، ويشمله بالرحمة والرعاية والإعانة حين يذكره، وإذا تقرب منه شبرًا بالطاعة تقرب إليه ذراعًا بالرحمة، وإذا أتاه مسرعًا في طاعته أتاه المولى- عز وجل - هرولة بأن يسبقه بالرحمة.

بينما كشفت بقية الروايات عن رضا المولى- عز وجل - عن عبده حين يتوب إليه بعد تخبطه في المعاصي وتيهه وضلاله، وأنه – سبحانه - يكون أشد فرحًا بها من فرح رجل انفلتت منه راحلته وعليها طعامه وشرابه، وأخذ يبحث عنها وقتًا طويلًا، ثم عثر عليها.

---

(١) معاني التراكيب: دراسة تحليلية في مباحث علم المعاني, أ د عبد الفتاح لاشين ١٠٢/٢،ط١٩٩٩م، دار الفكر العربي- القاهرة.

المبحث الثاني

من بلاغة اختلاف الروايات في التعبير عن المفقود حين وجد وعن نوع الأرض التي فقد بها

بعد أن انتهيت في المبحث الأول من الحديث عن بلاغة اختلاف الروايات في مطلع الحديث، أنتقلُ في المبحث الثاني إلى بيان بلاغة اختلاف الروايات في التعبير عن المفقود حين وجد، وعن نوع الأرض التي فقد بها.

الأسرار البلاغية في اختلاف الروايات:

عند دراسة بلاغة اختلاف الروايات في التعبير عن المفقود حين وجد، وجدت أنه قد انتقل في الرواية الأولى من الأسلوب الخبري، في قوله: (**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي**) إلى الأسلوب الإنشائي غير الطلبي[1]، المتمثل في القَسَمِ[2] بالمولى – عز وجل-

(١) الإنشاء غير الطلبي هو: ما لا طلب فيه كالتعجب، والقسم، وأفعال المقاربة مثل كاد، كرب، أو شك، جعل، طفق، أخذ، عسى، لعل، وصيغ العقود مثل: بعت، واشتريت، ووهبت وزوجت، الإيضاح في علوم البلاغة، المؤلف: محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ)،المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي/٥١/٣، الطبعة: الثالثة، الناشر: دار الجيل – بيروت.

(٢) القسم: هو بمعنى الحلف واليمين, وهو وسيلة من وسائل توكيد الخبر لدى السامع, والصيغة الأصلية للقسم أن يؤتى بالفعل أُقسم أو أَحلف متعديا بالبَاء في المقسم به, ثم يؤتى بالمقسم عليه فيتكون أسلوب القسم من: (الفعل + المقسم به + المقسم عليه). ومن عادة العرب الإيجاز, لذلك فهم يحذفون فعل القسم ويعوضون عنه بالواو ثم التاء, لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (المتوفى: ٧١١هـ)/٣٤٦/١٤ الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ، الناشر: دار صادر – بيروت. مادة (قسم), شرح الكافية الشافية, لجمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الطائي الجياني ت عبد المنعم أحمد هريدي/٢ / ٨٦٢, ط١, جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، والنحو الوافي, لعباس حسن، /٢/ ٤٨٩, ط٣.دار المعارف مصر.

فقال: **(وَاللهِ لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلَاةِ)**، وجاء لفظ الجلالة مسبوقًا بأداة القسم (**الواو**) وهي حرف جر دخلت على اسم ظاهر، وقال بعض النحويين[1]: إن أصلها (**الباء**) وذلك أن العرب يحبون الإيجاز، فحذفوا الفعل وعوضوا عن (**الباء**) بالواو تخفيفًا.

و(**واو**) القسم لها شروط، وهي: أن لا تدخل على ضمير، وإنما تدخل على اسم ظاهر، وأن يحذف فعل القسم مثل قوله تعالى: **[وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ] (يس:٢)**، وأن يحذف المقسم به، وقد أفاد القسم توكيد الكلام والخبر في ذهن السامع، حتى لا يدع مجالًا للشك فيما قاله ومواجهة الإنكار والجحود.

وإطلاق الفرح علي المولى – سبحانه - في قوله: **(وَاللهِ لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ)** كناية عن رضاه، الغرض منها المبالغة وتأكيد معنى الرضا وتقريره في نفس السامع، وحضه على التوبة والرجوع إلى الله والإقلاع عن المعاصي.

ثم لجأ إلى الصورة البيانية المتمثلة في التشبيه التمثيلي والكناية، حيث شبه الرسول ﷺ الحال الحاصلة برضا المولى – سبحانه - عن عبده التائب وإقباله عليه بالحال الحاصلة بفرح رجل عثر على ضالته بعد أن فقدها في الصحراء.

وأجمل القول في الحديث عن الضالة كما جاء في قوله: **(مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلَاةِ)**، فلم يذكر عنها شيء سوى أنها ضالة عثر عليها صاحبها بالفلاة، **و(الضالة)**هِيَ:" الضَّائِعَةُ مِنْ كُلِّ مَا يُقْتَنَى مِنَ الحَيَوان وَغَيْرِهِ. يُقَالُ: ضَلَّ الشيءُ إِذَا ضَاع، وضَلَّ عَنِ الطَّرِيق إِذَا

(١) شرح الكافية الشافية/٢ / ٨٦٢.

حار، والمرادُ بِهَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ: الضَّالَّة مِنَ الإبلِ والبقرِ مِمَّا يَحْمِي نَفْسَهُ وَيَقْدِرُ عَلَى الإبْعَاد فِي طلَب المَرْعَى والماءِ، بِخِلَافِ الغَنَم"[1]، وهي لفظ عام يشمل كل ضائع من الحيوان وغيره، فهي مجرد ضالة بعدت عن صاحبها بحثًا عن الكلأ والماء.

ثم بين أن الله - سبحانه وتعالى - أكرم من عبده، فإذا تقرب الإنسان إلى الله شبرًا تقرب الله منه ذراعًا، وإذا تقرب منه ذراعًا تقرب منه باعًا، وإذا أتاه يمشي أتاه هرولة، فهو أكثر كرمًا وأسرع إجابة من عبده، وعبر عن ذلك بالتشبيه التمثيلي والكناية في قوله: **(وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي، أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أُهَرْوِلُ)**[2]، حيث شبه هيئة تقرب العبد من ربه بهيئة من أقبل على صاحبه قدر شبر فاستقبله صاحبه ذراعًا، وبهيئة من اجتهد في الوصول والتقرب إليه فتقرب إليه باعًا، وبهيئة من مشى مسرعًا إليه فهرول إليه صاحبه رغبة في إكرامه، وكان الغرض منه حسن قبول العمل من العبد، ومضاعفة الثواب على قدر العمل الذي يتقرب به إلى ربه.

وكنى بقوله: **(وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا)** عن التقرب لله بالنية فيقربه الله توفيقًا ذراعًا، وبقوله: **(وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا)** عن التقرب إلى الله بالاجتهاد فيقربه الله

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي /١٣٩٩/٩٨/٣هـ - ١٩٧٩م الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.

(٢) الهرولة: بين المشي والعدو، وهو كناية عن سرعة إجابة الله – تعالى-، وقبول توبة العبد، ولطفه ورحمته، النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢٦١).

بالهداية باعًا، كما كنى بقوله: (**وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي، أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أُهَرْوِلُ**) عن الإعراض عمن سوى الله- سبحانه -، والإسراع إلى طاعة المولى – عز وجل -، فيأتيه الله بالثواب أسرع من إتيانه، ويضاعف له الجزاء بأن يصب عليه الرحمة بل يسبقه الله بها.

وصاغ الكناية في قالب (**من**) التي جاءت في معرض الشرط، فجاء فعل الشرط ماضيًا (**تَقَرَّبَ**) على صيغة (تَفَعَّلَ)، وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، حيث دلَّ على كثرة مجاهدة العبد لنفسه، وشدة تقربه من ربه، وإلحاحه عليه في قبول التوبة، وإظهار رغبته في التقرب والإقبال، وذلك "لإبراز غير الحاصل الذي يحدث في المستقبل في معرض الحاصل الذي وقع في الماضي وتحقق وقوعه، وذلك من باب الحث على التوبة"(١).

ووراء التمثيل والكناية معانٍ، منها: إذا أشرف الإنسان العاصي على الهلاك بسبب معصيته، ثم عاد إلى رشده بعد أن لطف الله به وتاب نجا من الهلاك، وقبل الله توبته، وأقبل عليه برحمته ومغفرته، وأسرع إلى قبول توبته إسراع من جيء إليه بشيء فأسرعَ لأخذه.

وتآزر مع الكناية البديع بقسميه اللفظي المتمثل في السجع، والمعنوي المتمثل في مراعاة النظير، وذلك في قوله: (**شِبْرًا، وذِرَاعًا، وبَاعًا، ويَمْشِي، وأُهَرْوِلُ**) جمع بينها؛ لأنها أمور متناسبة متآلفة، فهي عناصر المقياس والحركة، فكل لفظ يسكن إلى جاره، ويطمئن إلى إلفه.

---

(١) علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني, أ د، بسيوني فيود, /٢١٠،٢١١، الطبعة الرابعة، ٢٠١٥م، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة بتصرف.

وسر بلاغة التعبير بهذه النظائر: هو حثُّ العبد على تقربه من ربه بطاعته له، فينال بذلك تقرب المولى - عز وجل - منه برحمته، وإذا أتى العبد ربه مسرعًا في طاعته، أتاه هرولة بأن أفاض عليه الرحمة، وضاعف له الجزاء على قدر تقربه منه، وأن من يسرع إلى التوبة يسرع الله – سبحانه - إليه في قبولها، إذًا فالقصد من الرمز بهذه الأمور الترغيب في التوبة والحث على الإقبال عليها.

فمراعاة النظير: "تحقق الجمال الأخاذ في الكلام لما تحتويه من حسن النسق وائتلاف الألفاظ مع المعاني بأخصر عبارة، حيث تكون المفردات سهلة المخارج يتلألأ عليها رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة وعقدة التراكيب، فبها يحسن البيان، فلا يتوقف القارئ أو السامع في فهم معنى الكلام ولا يشكل عليه شيء منه، بل ينحدر الكلام بسببها بسهولة فتجد عذوبة السبك مع جزالة اللفظ"(١).

واقتصر أيضًا في الرواية الثانية على التمثيل بين فرح المولى – عز وجل - بتوبة عبده، وفرح الرجل بإيجاد ضالته والتعبير بلفظ (**الضالة**) عام ليشمل كل تائه وضائع من الحيوان وغيره، وإن كان المقصود به هنا الحيوان سواء كان ناقة أم فرسًا، معبرًا عن ذلك بأداة الشرط (**إذا**) التي تفيد تحقق وقوع الأمر المشروط بدخولها على الفعل الماضي في قوله: **(لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ، مِنْ أَحَدِكُمْ بِضَالَّتِهِ، إِذَا وَجَدَهَا)**، يقول الكرماني: "لما كان الشرط محقق الوقوع جاء بلفظ (**إذا**) التي تدل على الجزم بوقوع مدخولها أي: تحقق عثور صاحب

(١) مراعاة النظير في كلام الله العلي القدير دراسة بلاغية في إعجاز الأسلوب القرآني، د. كمال الدين عبد الغني المرسي/٤١، ط١، ٢٠٠٥م، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.

الضالة عليها حين يبحث عنها، ولهذا يصح أن يقال: إذا قامت القيامة كان كذا، ولا يصح أن يقال: إن قامت كان كذا، بل يكفر قائله؛ لأنه مشعر بالشك فيه"[1]، فالرسول- ﷺ - أراد أن يؤكد للصحابة – رضوان الله عليهم - تحقق فرح الله – سبحانه - بتوبة عباده؛ ليسرعوا إليها، ويقدموا على العمل الصالح، بل يكون المولى- عز وجل - أشد فرحًا بها من أحدهم حين عثر على ضالته، فاستخدم "إذا" الشرطية التي تدل على تحقق الوقوع.

وأبانت الروايات: الثالثة والرابعة في صحيح مسلم، ورواية الإمام البخاري - المتفقة معها في المعنى وإن كان قد اقتصر فيها على بعض الألفاظ أو قدم وأخر في الجمل - عن قيمة التوبة، ومدى أهميتها في حياة المؤمن، حيث قال في روايتي الإمام مسلم: **(لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ[2] مَهْلِكَةٍ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ....)**، بينما قال في رواية الإمام البخاري: **(لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلًا وَبِهِ مَهْلِكَةٌ، وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ..)**، في هذه الروايات يسرد النبي - ﷺ - مثلًا تدور

(١) البخاري بشرح الكرماني/١٩٧/١،الطبعة الثانية-١٤٠١هـ،١٩٨١م، دار إحياء التراث العربي بيروت.

(٢) دوية بِفَتْح الدَّال وَتَشْدِيد الْوَاو وَالْيَاء جَمِيعًا منسوبة إِلَى الدو بتَشْدِيد الْوَاو وَهِي الْبَرِيَّة الَّتِي لَا نَبَات فِيهَا، مهلكة بِفَتْح الْمِيم وبفتح اللَّام وكسرها وَهِي الْمَفَازَة، الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)،حقق أصله وعلق عليه: أبو اسحق الحويني الأثري /٩٣/٦، الطبعة: الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م، الناشر: دار ابن عفان للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية – الخبر.

أحداثه حول رجل حل بصحراء مقفرة يبدو عليه الإجهاد والتعب، لا مؤنس له سوى ناقته عليها طعامه وشرابه، وبلغ به التعب مبلغًا، فاستلقى تحت شجرة ليستعيد نشاطه فنام قليلًا فلما استيقظ من نومه لم يجد راحلته، فأخذ يبحث عنها، ولكن دون جدوى، ولما أيقن بأنه هالك عاد إلى الشجرة جائعًا عطشًا فنام ينتظر الموت، فأيقظه صوت ناقته، ففرح فرحًا شديدًا حتى أخطأ من شدة الفرح في الثناء على المولى – عز وجل -.

فصدر الرسول - ﷺ - حديثه **بـ (لام)** الابتداء والتوكيد، ثم أتبعها بصيغة التفضيل:**(لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ)**؛ لتأكيد رضا المولى – عز وجل - عن هذه التوبة، وبيان أهميتها للعبد، وجاء قوله:**(عَبْدِهِ)** بلفظ عام ليشمل كل عباده، وليخفف على العبد المؤمن خوفه من ذنوبه، حيث قال: **(عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ)**؛ لأنه يستعظمها وإن كانت يسيره، فالحديث يدور حول محو الذنوب عند المبادرة بالتوبة، فأخرج هذه المعاني المعقولة في صورة محسوسة حتى يسهل على المسلمين تصورها.

لذا استعان بالتشبيه التمثيلي لتقرير هذه الحقيقة، فشبه الرسول ﷺ الحال الحاصلة برضا المولى – عز وجل - عن عبده التائب وإقباله عليه بالحال الحاصلة بفرح إنسان وجد راحلته التي تحمل طعامه وشرابه بعد أن فقدها في الصحراء المهلكة، وكان قد يئس من رجوعها على الرغم من أنها الحياة بالنسبة له.

ووصفت الأرض في الروايتين الثالثة والرابعة بأنها أرض دوية مَهلِكة، حيث قال: **(مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلِكَةٍ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ)**، **وتنكير (رجل)** زيادة في تعميم أمره على الحاضرين إذ لا فائدة من

تعريفه، ثم عبر بـ (في) الظرفية المكانية في قوله: (**فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلِكَةٍ**) الدالة على نزول صاحب الراحلة في أرض لا نبات فيها يهلك من نزل بها، ثم فصل بين الجملتين: (**مَعَهُ رَاحِلَتُهُ**) لشبه كمال الاتصال، حيث وقعت الجملة الثانية جوابًا لسؤال أثارته الجملة الأولى، وكأن سائلًا يسأل: هل كان معه شيء من المتاع؟، فأجيب بأنه كانت معه راحلته.

بينما وصفه في رواية الإمام البخاري بأنه نزل منزلًا يهلك من نزل به: (**مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلًا وَبِهِ مَهْلَكَةٌ، وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ**)، وعطف بين الجملتين بالواو للتوسط بين الكمالين، فالجملتان خبريتان لفظًا ومعنى، و(**الرَّاحِلَةُ**) هِيَ: "البَعيرُ الْقَوِيُّ عَلَى الْأَسْفَارِ وَالْأَحْمَالِ، وَهِيَ الَّتِي يَخْتارُها الرَّجُلُ لمرْكَبَه ورَحْله عَلَى النَّجابة وتمام الخَلْقِ الْحَسَنُ المنظر"[1]؛ لذا عبر بها في جانب الحمل الثقيل.

والتعبير بـ (**المنزل**) في هذه الرواية ربما يحمل معنى تهيئة المكان للنزول به، وأنه معهود للمسافرين من هذا الطريق أن ينزلوا به، ويؤيده قوله في الرواية الأخرى: (**فقال تحت شجرة**).

واتفقت الروايات في قوله: (**عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ**)، وتقديم(**عليها**) أفاد القصر للتخصيص، وأصل الكلام: (**طعامه وشرابه عليها**)، وذلك ليبين أنه بفقد راحلته قد فقد الحياة التي قوامها الطعام والشراب، وبعودتها تعود له الحياة.

واختلفت الروايات في التعبير عن حال صاحب الراحلة قبل فقدها، فأطنب القول في روايتي الإمام مسلم، وهذا الإطناب بليغ

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر/٢/٢٠٩.

استدعاه المقام، وتطلبه السياق، وذلك للترغيب في التوبة والحث على الإسراع إليها، فقال: (**فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ، فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ، ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِيَ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ أَوَ طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَاللهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ**).

بينما أوجز القول في رواية الإمام البخاري؛ لأنه قد سبق في هذه الرواية بأن أوضح لهم رؤية المؤمن والفاجر لذنوبه؛ لذا جاء التمثيل موجزًا ليناسب المقام، فقال: (**فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ نَوْمَةً، فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ، حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الحَرُّ وَالعَطَشُ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ، قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي، فَرَجَعَ فَنَامَ نَوْمَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ**).

ففي روايتي الإمام مسلم قال: (**فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ**) وهذا يدل على اضطراب نومه بسبب قلقه على راحلته التي تتوقف حياته عليها.

بينما قال في رواية الإمام البخاري: (**فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ نَوْمَةً، فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ**)، فكنى بقوله: (**فَوَضَعَ رَأْسَهُ**) عن الاستلقاء، ثم قال: (**فَنَامَ نَوْمَةً**)على وزن فَعْلَة، وهي اسم مرة من الثلاثي، أي نام ولا يشعر بما يدور من حوله وما حدث لراحلته، حيث نزل عنها ليقيل بعد عناء السفر.

كما عبر في روايتي الإمام مسلم - عن فقد الدابة، وعن الحال التي كان عليها صاحبها حين فقدها - بالفعل الماضي الذي أفاد تحقق الوقوع بدخول (**قد**) عليه بـ (**الذهاب**) **في قوله: (وَقَدْ ذَهَبَتْ فَطَلَبَهَا**

حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ)، والتعبير بـ **(الذهاب)** يحمل معنى الابتعاد بأن تكون قد ابتعدت عنه، أو أن تكون قد ضاعت وفقد الأمل في رجوعها.

وبعد أن أفاق من نومه استيقظ على فقدها، فانطلق يبحث عنها حتى أنهكه التعب، فقال في روايتي الإمام مسلم: **(فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ)**، وعبر بالفعل الماضي الذي أفاد تحقق وقوع الفعل أي: أخذ يبحث عنها حتى أدركه العطش، ثم عاد إلى المكان الذي حلَّ به ينتظر الموت، ويحتمل أنه قد رجع إلى هذا المكان؛ لأن عادة الحيوانات إذا ضاعت تتبع آثار أقدامها وترجع إلى مكانها الأول، وعبر عن ذلك بتعريف المسند إليه بالموصولية في قوله: **(ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِيَ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ أو طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ)**، وذلك لعدم علم المخاطب بأحوال المسند إليه -وهو المكان - غير ما تضمنته جملة الصلة، كما أن الغرض منه التقرير والتوضيح، وإذا به يرفع رأسه من نومه فإذا راحلته عنده، وعليها طعامه وشرابه.

وفي قوله: **(وَعَلَيْهَا زَادُهُ أو طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ)** إطناب بذكر الخاص بعد العام، أي: ذكر الطعام والشراب بعد الزاد وهو " طَعَام يتَّخذ للسَّفر وَمَا يكتسبه الْإِنْسَان من خير أَو شَرّ"[1] وذلك" للتنبيه على فضله حتى كأنه ليس من جنسه؛ تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات، والاهتمام بشأن الخاص بذكره مرتين، مرة بلفظة، ومرة مندرجًا تحت العام"[2]؛ للتأكيد عليه وبيان أهميته، فالطعام والشراب جزء من زاد المسافر؛ وذلك لمزيد أهميتهما بالنسبة للمسافر.

([1]) المعجم الوسيط المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)/١/٤٠٦/ الناشر: دار الدعوة.

([2]) الإيضاح بتعليق البغية/٢/٣٤٨.

بينما اشتد عليه العطش في رواية الإمام البخاري، لكنه لم ييأس من رجوعها ونام نومته ثم رفع رأسه، فإذا براحلته عنده، لكنه لم يحدد إذا هي عادة بحملها أي طعامه وشرابه عليها أم لا، فقال: (**حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الحَرُّ وَالعَطَشُ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ، قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي، فَرَجَعَ فَنَامَ نَوْمَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ**).

وجاءت الصورة مليئة بالحركة، وذلك عن طريق الأفعال وحروف العطف التي كان لها دور في تحديد وقت الحركة وطبيعتها، وكيفية البحث عن الراحلة، فأما الأفعال، كقوله: (**فَنَامَ، فَاسْتَيْقَظَ، فَطَلَبَهَا، فَوَضَعَ رَأْسَهُ**) فكلها أفعال تدل على الحركة، والطباق بين قوله: (**فَنَامَ، فَاسْتَيْقَظَ**) دل على اضطراب نومه بسبب قلقه على راحلته التي تتوقف حياته عليها.

وأما حروف العطف مثل الفاء في قوله: **(فطلبها)** فإنها تدل على أن حركته لطلب راحلته جاءت عقب معرفته بضياعها، فليس بينهما وقت، وجاء بـ **(ثم)** التي تدل على الترتيب والتراخي بمهلة، في قوله: **(ثم قَالَ)**، مما يدل على أن طلب الرجل لراحلته استغرق منه وقتًا طويلًا، وهذا يؤكد قوله - ﷺ -: **(حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ)** فلم ينتظر الموت إلا بعد أن يئس من رجوعها.

وزاد عليه في روايتي الإمام مسلم بأن وظف أفعل التفضيل في بداية الروايتين ونهايتهما، فقال ﷺ:(**فَاللهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ**)، فكيف توصف فرحة هذا الرجل الذي أشرف على الموت ثم عادت إليه الحياة؟، كما جاء التكرار تأكيدًا لرضا الله عن توبة عبده، كما أراد أن ينبه على الأفضلية التي أشار إليها في بداية الرواية.

ولم ينص في الرواية الخامسة للإمام مسلم على وقت توبة العبد إلى ربه، حيث قال: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ حَمَلَ زَادَهُ وَمَزَادَهُ[1] عَلَى بَعِيرٍ، ثُمَّ سَارَ حَتَّى كَانَ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَأَدْرَكَتْهُ الْقَائِلَةُ، فَنَزَلَ، فَقَال تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَغَلَبَتْهُ عَيْنُهُ، وَانْسَلَّ بَعِيرُهُ، فَاسْتَيْقَظَ فَسَعَى شَرَفًا فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، ثُمَّ سَعَى شَرَفًا ثَانِيًا فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، ثُمَّ سَعَى شَرَفًا ثَالِثًا فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، فَأَقْبَلَ حَتَّى أَتَى مَكَانَهُ الَّذِي قَالَ فِيهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ قَاعِدٌ إِذْ جَاءَهُ بَعِيرُهُ يَمْشِي، حَتَّى وَضَعَ خِطَامَهُ فِي يَدِهِ، فَلَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ، مِنْ هَذَا حِينَ وَجَدَ بَعِيرَهُ عَلَى حَالِهِ)، واعتمد في ذلك على التشبيه التمثيلي الذي شبه الرسول ﷺ من خلاله الحال الحاصلة برضا الله – سبحانه - عن عبده التائب وإقباله عليه بالحال الحاصلة بفرح رجل أدركته القائلة فنزل فقال تحت شجرة، فانسل بعيره بأرض فلاة وعليه زاده ومزاده، فلما استيقظ أخذ يبحث عنه مرارًا فلم يجده، فعاد إلى مكانه وقعد فإذا بعيره يمشي حتى وضع خطامه في يده.

ولم يصرح في هذه الرواية بلفظ الطعام والشراب مباشرة، بل قال: **(حَمَلَ زَادَهُ وَمَزَادَهُ عَلَى بَعِيرٍ)**، فعبر بالفعل الماضي(**حَمَلَ**) الذي أفاد تحقق الحمل، والجناس الناقص بين قوله: **(زَادَهُ، وَمَزَادَهُ)**، فبين من خلاله مدى أهمية الطعام والشراب بالنسبة للحياة، إذ بهما قوامها، وأنهما من الأهمية بمكان وما دونهما من أمور الحياة مجرد أشياء ثانوية يمكن الاستغناء عنها.

---

(١) (حمل زاده ومزاده) كأنه اسم جنس للمزادة وهي القربة العظيمة سميت بذلك لأنه يزاد فيها من جلد آخر، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)كتاب التوبة/١٧/٦٢ الطبعة: الثانية ١٣٩٢ه الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

ثم وصف حال صاحب الدابة التي كان عليها حين فقدها، فقد غلبه النوم فهرب بعيره خفية دون أن يعلم، فلما استيقظ من نومه أخذ يبحث عنه دون جدوى، فيئس من عودته، وعاد إلى مكانه فتفاجأ بقدوم بعيره إليه، واضعًا خطامه في يده، في قوله: **(فَأَدْرَكَتْهُ الْقَائِلَةُ، فَنَزَلَ، فَقَالَ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَغَلَبَتْهُ عَيْنُهُ، وَانْسَلَّ بَعِيرُهُ، فَاسْتَيْقَظَ فَسَعَى شَرَفًا[1] فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، ثُمَّ سَعَى شَرَفًا ثَانِيًا فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، ثُمَّ سَعَى شَرَفًا ثَالِثًا فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، فَأَقْبَلَ حَتَّى أَتَى مَكَانَهُ الَّذِي قَالَ فِيهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ قَاعِدٌ إِذْ جَاءَهُ بَعِيرُهُ يَمْشِي، حَتَّى وَضَعَ خِطَامَهُ فِي يَدِهِ، فَلَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ، مِنْ هَذَا حِينَ وَجَدَ بَعِيرَهُ عَلَى حَالِهِ)**، فقال: **(وَانْسَلَّ بَعِيرُهُ)**، **(وانْسَلَّ)**: أي هرب مِن غَيْرِ أَن يُعْلَم بِهِ، أي في خفاء، و(**البعير**):الجَمَل البازِلُ، وَقِيلَ: الجَذَعُ، وَقَدْ يَكُونُ للأُنثى[2]، والتعبير بلفظ (**الانسلال**) أنبئ عن هروبه خفية حين نام صاحبه عنه، كما أنبئ عن خفة حمولته.

وقد عبرت تلك الصورة عن الحالة النفسية لصاحب البعير، كما عبرت عن الأحداث التي مر بها، وذلك من خلال مجيئه بحروف العطف والأفعال التي كان لها دور في تحديد وقت وطبيعة الحركة، حيث قال: **(فَأَدْرَكَتْهُ الْقَائِلَةُ، فَنَزَلَ، فَقَالَ: تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَغَلَبَتْهُ عَيْنُهُ، وَانْسَلَّ بَعِيرُهُ، فَاسْتَيْقَظَ فَسَعَى شَرَفًا فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، ثُمَّ سَعَى شَرَفًا ثَانِيًا فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، ثُمَّ سَعَى شَرَفًا ثَالِثًا فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، فَأَقْبَلَ حَتَّى أَتَى مَكَانَهُ الَّذِي قَالَ فِيهِ)**.

---

(١) (فسعى شرفًا فلم ير شيئًا) قال القاضي يحتمل أنه أراد بالشرف هنا الطلق والغلوة كما في الحديث الآخر فاستنت شرفا أو شرفين قال ويحتمل أن المراد هنا الشرف من الأرض لينظر منه هل يراها قال وهذا أظهر، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج،/١٧/٦٢.

(٢) لسان العرب مادة: (سل، وبعر).

فالعطف بـ **(الفاء)** يدل على أن حركته لطلب بعيره جاءت عقب انسلاله، فليس بين انسلاله وبين طلبه إياه وقت، ثم جاء بحرف العطف **(ثم)** التي تدل على الترتيب والتراخي في قوله: **(ثُمَّ سَعَى شَرَفًا ثَانِيًا فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، ثُمَّ سَعَى شَرَفًا ثَالِثًا فَلَمْ يَرَ شَيْئًا)** مما يدل على أن طلب الرجل لبعيره قد استغرق وقتًا طويلًا، وجهدًا شديدًا.

ووصف الحال التي كان عليها صاحب البعير حين عثر على بعيره، فقد كان يائسًا من رجوعه، فعاد إلى حرف العطف (**الفاء**) مرة أخرى في قوله: **(فَأَقْبَلَ حَتَّى أَتَى مَكَانَهُ الَّذِي قَالَ فِيهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ قَاعِدٌ إِذْ جَاءَهُ بَعِيرُهُ يَمْشِي، حَتَّى وَضَعَ خِطَامَهُ فِي يَدِهِ)** مما يدل أنه عقب سعيه رجع إلى مكانه الذي قَالَ فيه، وعقب رجوعه إليه جاءه بعيره يمشي حتى وضع حبله في يده.

وعبر بالظرف الزماني: **(بينما)** في قوله: **(فَبَيْنَمَا هُوَ قَاعِدٌ إِذْ جَاءَهُ بَعِيرُهُ يَمْشِي)**، مما يفيد أن عودة البعير كانت غير متوقعة، إلى جانب أن هذا الظرف يصور لنا الحدث أمام أعيينا وكأننا نشاهده.

ولا يخفى التعبير بـ (**إذ**) الظرفية في قوله: (**إِذْ جَاءَهُ بَعِيرُهُ يَمْشِي، حَتَّى وَضَعَ خِطَامَهُ فِي يَدِهِ**)، مما يدل على مفاجأته ببعيره وعدم توقعه بعودته؛ لكثرة بحثه عنه وعدم عثوره عليه، فإذ ببعيره بين يديه فأخذ بحبله.

وعبر عن كيفية الحصول على الخطام بـ **(في)** الظرفية المكانية الدالة على تمكين صاحب البعير من حبل بعيره، فقال: (**حَتَّى وَضَعَ خِطَامَهُ فِي يَدِهِ**)، فانتهى به الأمر بأن وضع حبله في يده، وذلك ليثير – ﷺ - انتباه من حوله ليعوا كلامه.

وانتقل في الرواية السادسة من الأسلوب الإنشائي الطلبي إلى التشبيه التمثيلي في قوله: (كَيْفَ تَقُولُونَ بِفَرَحِ رَجُلٍ انْفَلَتَتْ مِنْهُ رَاحِلَتُهُ، تَجُرُّ زِمَامَهَا بِأَرْضٍ قَفْرٍ لَيْسَ بِهَا طَعَامٌ وَلَا شَرَابٌ، وَعَلَيْهَا لَهُ طَعَامٌ وَشَرَابٌ، فَطَلَبَهَا حَتَّى شَقَّ عَلَيْهِ، ثُمَّ مَرَّتْ بِجِذْلِ شَجَرَةٍ فَتَعَلَّقَ زِمَامُهَا، فَوَجَدَهَا مُتَعَلِّقَةً بِهِ؟» قُلْنَا: شَدِيدًا، يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أَمَا وَاللهِ لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ، مِنَ الرَّجُلِ بِرَاحِلَتِهِ»، **وعبر بـ (الانفلات) والفَلْتَةُ:** الأمر الذي يقع من غير إحكامٍ، يقال: كان ذلك الأمر فلتة أي: مُفاجَأةً. وأَفْلَتَني فلانٌ أي: انفَلَتَ منّي، وأَفلَتَني أيضًا: خَلَّصَني[1]، **و(الرَّاحِلَةُ) هِيَ:** البعير القوي على الأسفار والحمل، لذا عبر عن فقدها بالانفلات الذي دلّ على عدم تحكمه فيها لقوتها ولثقل حملها.

وشبه الرسول – ﷺ - الحال الحاصلة برضا الله – سبحانه - عن عبده التائب وإقباله عليه بالحال الحاصلة بفرح رجل وجد راحلته التي تحمل طعامه وشرابه بعد أن انفلتت منه في أرض قفر، فأخذ يبحث عنها في كل مكان حتى أنهكه التعب، ومن خلال التشبيه اتضح لنا أن الراحلة تمثل الحياة بالنسبة لهذا الرجل، إذ عليها طعامه وشرابه.

وقد عبرت تلك الصورة عن الحالة النفسية لصاحب الراحلة والأحداث التي مر بها، وذلك من خلال مجيئه بحروف العطف والأفعال التي كان لها دور في تحديد وقت الحركة، حيث قال: (**انْفَلَتَتْ،**

(١) العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي،/٨/١٢٢، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

فَطَلَبَهَا)، فالعطف **بـ (الفاء)** يدل على أن حركته لطلب راحلته جاءت عقب انفلاتها، فليس بين انفلاتها وبين طلبه إياها وقت طويل.

ويأتي بالفاء مرة أخرى في قوله: **(فَتَعَلَّقَ زِمَامُهَا، فَوَجَدَهَا مُتَعَلِّقَةً بِهِ)** مما يدل على أنه عقب مرورها بجذل شجرة تعلق به زمامها، وعقب التعلق وجدها صاحبها، وفصل بين الجملتين لشبه كمال الاتصال، حيث جاءت الجملة الثانية إجابة لسؤال أثارته الجملة الأولى، وكأن سائلًا يسأل: ماذا عن الراحلة؟، وفيه أيضًا إجمال وإبهام في قوله: (**رَاحِلَتُهُ**)لا يدري القارئ ما بها وما عليها، فصَّله وأوضَحَهُ بقوله: **(تَجُرُّ زِمَامَهَا بِأَرْضٍ قَفْرٍ لَيْسَ بِهَا طَعَامٌ وَلَا شَرَابٌ، وَعَلَيْهَا لَهُ طَعَامٌ وَشَرَابٌ، فَطَلَبَهَا حَتَّى شَقَّ عَلَيْهِ، ثُمَّ مَرَّتْ بِجِذْلِ شَجَرَةٍ فَتَعَلَّقَ زِمَامُهَا، فَوَجَدَهَا مُتَعَلِّقَةً بِهِ؟)** وهذا من باب الإطناب؛ ليري المعنى في صورتين مختلفتين، وليتمكن في النفس فضل تمكن؛ ولأن المعنى إذا ألقي على سبيل الإجمال والإبهام تشوقت النفس إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح(١).

وجاء بحرف العطف **(ثم)** التي تدل على التراخي والترتيب في **قوله: (ثُمَّ مَرَّتْ بِجِذْلِ(٢)شَجَرَةٍ)، فالجِذل:** أصل كل شجرة حين يذهب رأسها، وأثر البيان النبوي هذا اللفظ دون غيره من الألفاظ المرادفة أو المقاربة له في المعنى **كـالجَذْرُ:** وهو أَصلُ شَجَرٍ وَنَحْوِهِ(٣)؛ لأن التعبير بالجذل هو الأنسب للمعنى المراد وهو سهولة تعلق زمام الراحلة به لارتفاعه فوق الأرض، وعدم انفكاكه لاشتباكه بها، بخلاف الجذر فإنه

(١) الإيضاح بتعليق البغية /٤/ ٣٢٤، ٣٤٦.
(٢) الجِذلُ: أصل كلُّ شجرةٍ حين يذهب رأسها، العين،/٦/٩٤.
(٣) لسان العرب،ج٤/١٢٣.

يكون في باطن الأرض، مما يدل على أن طلب الرجل لراحلته قد استغرق وقتًا طويلًا.

تآزر مع الفصل بين الجملتين والإطناب: الفنُّ البديعي المعنوي المتمثل في المقابلة بين الجملتين في قوله: **(تَجُرُّ زِمَامَهَا بِأَرْضٍ قَفْرٍ لَيْسَ بِهَا طَعَامٌ وَلَا شَرَابٌ، وَعَلَيْهَا لَهُ طَعَامٌ وَشَرَابٌ، فَطَلَبَهَا)**، وذلك ليصف الأرض التي نزل بها الرجل، وهي أرض قفر ليس بها طعام ولا شراب، بينما تحمل راحلته طعامه وشرابه، مما يبين مدى حاجته لراحلته، فبفقدها يفقد الحياة لذا شق عليه طلبها.

وفي قوله: (قُلْنَا: شَدِيدًا، يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أَمَا وَاللهِ لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ، مِنَ الرَّجُلِ بِرَاحِلَتِهِ) إيجاز بالحذف، حيث حذف الموصوف وهو**(الفرح)** أي: نراه فرحًا شديدًا، أو يفرح فرحًا شديدًا، وذلك لدلالة الكلام على المحذوف، وفى الحذف إيجاز في بناء الصورة، "ويستمد الحذف أهميته من كونه لا يورد المنتظر من الألفاظ وإنما يذهب بالمتلقي مذاهب بعيدة، ومن ثم يفجر في ذهنه شحنة توقظه وتجعله يفكر فيما هو مقصود)[1].

واستخدام أداة النداء **(يا)** في قوله: **(يَا رَسُولَ اللهِ)**، وهي للبعيد على الرغم من أن الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جالس معهم، للتنبيه على فضله، وللدلالة على علو شأنه وحبهم له وتكريمه، وتأدبهم مع الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فنادوه بهذه الأداة.

وبعد أن أنهى الإنشاء الطلبي انتقل إلى الإنشاء غير الطلبي المتمثل في القسم بالمولى – عز وجل – في قوله: **(أَمَا وَاللهِ لَلَّهُ)**، فقد

(١) الأسلوبية مدخل نظري ودراسة فتح الله أحمد سليمان ص: ١٣٩، ط ٢٠٠٤ م مكتبة الآداب.

جاء بـ **(أما)** الاستفتاحية بمنزلة **(ألا)** والتي يكثر استعمالها قبل القسم، وأصلها **(ما)** النافية دخلت عليها همزة الاستفهام للتعجب والدهشة؛ لأن اللقاء بالراحلة أتى بعد معاناة شديدة أدرك خلالها الموت من ألم الجوع والعطش، فهي حرف يستفتح به الكلام؛ لإيقاظ المتلقي وتنبيهه إلى ما سيأتي بعدها.

ثم أتى بأداة القسم وهي **(الواو)**، ثم المقسم به وهو لفظ الجلالة **(الله)**، ثم جملة القسم، وعبر بصيغة (أفعل التفضيل) في قوله: (**لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ، مِنَ الرَّجُلِ بِرَاحِلَتِهِ**)، لدلالة على أن هناك شيئين اشتركا في صفة واحدة وهي الفرح، وزاد أحدهما على الآخر في تلك الصفة وهي زيادة فرح المولى – عز وجل- بتوبة عبده على فرحة الرجل بالتقائه براحلته، وذلك للترغيب في التوبة، وبيان سرعة قبولها عند المولى - عز وجل -، وهذا يؤكد ما يهدف إليه الحديث من إثارة عواطف المخاطبين وتشوقهم إلى التوبة، وكنى بفرح المولى – سبحانه - عن رضاه عنها.

بينما حدد في الرواية السابعة وقت رضا المولى – عز وجل - على توبة عبده وهو وقت توبته إليه، فالله – سبحانه - يقبل التوبة ولو بلغ الذنب من صاحبه مبلغًا، فقال: (**لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَما هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ**)، والتفت الرسول - ﷺ - من ضمير الغيبة إلى ضمير الخطاب في قوله: (**لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ**)، ليبين

أن التوبة فرض على كل عبد من أمته، كما أن الالتفات فيه تجديد يلفت الانتباه ويثير الذهن وذلك أدعى لنشاط السامع، فأراد – ﷺ - أن يلفت انتباه الحاضرين ويحثهم على التوبة، ويرغبهم فيها.

ثم شرع في التمثيل، حيث شبه الرسول الحال الحاصلة برضا الله – سبحانه - عن عبده التائب حين يتوب إليه وإقباله عليه بالحال الحاصلة بفرح شخص كان على راحلته في أرض فلاة انفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس من رجوعها، فاضطجع تحت شجرة، فبينما هو مضطجع إذا هي قائمة عنده فأخذ بخطامها.

وجاء القصر بطريق التقديم لغرض التخصيص في **قوله: (وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ)**، وأصل الكلام: (**طعامه وشرابه عليها**)، وذلك ليبين لنا أنه بفقد راحلته قد فقد الحياة التي قوامها الطعام والشراب، وبعودتها تعود له الحياة.

وعبر في هذه الرواية عن كيفية فقد صاحب الراحلة لها بالانفلات، فقال: (**فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ**)، و(**الانفلات**) وهو الأمر الذي يقع من غير إحكامٍ، وَالرَّاحِلَةُ هِيَ: البعير القوي على الأسفار والأحمال، لذا عبر عن فقدها بالانفلات الذي دلّ على عدم تحكمه فيها لقوتها ولثقل حملها.

كما نص على الحالة التي كان عليها صاحب الراحلة حين فقدها، حيث قال: (**فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ**)،عبر بـ (**الاضطجاع**) أي: استلقى بأن وضع جنبه على الأرض تحت شجرة لا يدري ماذا يفعل؛ لأنه قد يئس من عودتها إليه، وبينما هو كذلك فإذا هي قائمة عنده فأخذ بحطامها.

وقد عبرت تلك الصورة عن الحالة النفسية لصاحب الراحلة، وذلك من خلال مجيئه بحروف العطف والأفعال الماضية التي أفاد تتحقق الوقوع، وكان لها دور في بيان طبيعة حركته، فالعطف بـ **(الفاء)** يدل على أن يأسه من رجوع راحلته إليه جاء عقب انفلاتها، فليس بين انفلاتها ويأسه فاصل زمني، وجاء بـ **(قد)** التي دلت بدخولها على الفعل الماضي على تحقق يأسه من رجوعها في قوله: **(قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ)**.

وعاد إلى الفاء مرة أخرى، وعبر بالظرف الزماني: **(فَبَيْنَما) في قوله: (فَبَيْنَما هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا)** مما يدل على أنه عقب يأسه من رجوعها، اضطجع تحت شجرة، فبينما هو كذلك إذا هي ماثلة أمامه، فأخذ حبلها بلهفة وقوة، وقد أفاد الظرف أن عودة الراحلة كان غير متوقع، إلى جانب أنه صور لنا الحدث أمام أعيينا وكأننا نشاهده.

وأخطأ من شدة فرحه برجوعها، فقال: **(ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ)**، فحينما أراد أن يثني على المولى – عز وجل - أخطأ في الثناء لشدة فرحه برجوعها، فقال: **(اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ)**، فقلب الكلام والأصل أن يقول: **(اللهُمَّ أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ)** فبأي شيء يقدر هذا الفرح الذي لا يمكن أن يتصوره أحد إلا من وقع في هذه الحال؟ لأنه فرح عظيم، فرح بالحياة بعد الموت، فقد نجا بفضل المولى – عز وجل - بعد أن اقترب الموت منه، وهذا دليل على فرح الله – سبحانه - بتوبة عبده إذا تاب إليه، وأنه يحب ذلك لا لأجل حاجته إلي أعمالنا وتوبتنا؛ فالله غني عنا، ولكن لمحبته – سبحانه - للكرم.

ووصف الأرض في الرواية الثامنة في صحيح مسلم ورواية الإمام البخاري بأنها أرض فلاة، فقال في صحيح مسلم: «**لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ إِذَا اسْتَيْقَظَ عَلَى بَعِيرِهِ، قَدْ أَضَلَّهُ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ**»

بينما قال في صحيح البخاري: **(اللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضٍ فَلاَةٍ)**[1].

واتفقت الروايتان في بيان فرح المولى – عز وجل – بتوبة عبده، ولكن اختلفتا في أسلوب التعبير عن ذلك الفرح، حيث قال في صحيح مسلم: (**لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ**)، فالجملة الاسمية مصدرة بـ (لام) الابتداء والتوكيد لتأكيد مضمون الجملة وتقرير المعنى في نفس السامع، بينما وقال في صحيح البخاري: (**اللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ**) بجملة اسمية لم تسبق بتأكيد، وإن كان ذلك يرجع إلى حال المخاطبين بأن كان الحديث يلقى عليهم لأول مرة، ولم يترددوا في صحته.

والمخاطب في الرواية معلوم لدى السامعين موجود في مجلسه، حيث قال: (**مِنْ أَحَدِكُمْ**)، ثم قال في صحيح مسلم: (**إِذَا اسْتَيْقَظَ عَلَى بَعِيرِهِ**)، فجاء بـ (**إذا**) التي تفيد الجزم بوقوع الفعل بدخولها على الفعل الماضي وهو تحقق استيقاظ صاحب البعير على بعيره دون مشقة في طلبه، بينما قال في صحيح البخاري: (**سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ**)، أي: صادفه وعثر عليه من غير قصد ففرح برجوعه، ثم قال في رواية الإمام مسلم: (**قَدْ أَضَلَّهُ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ**) ففصل بين الجملتين، وعبر بحرف الجر (**الباء**) الذي يفيد الظرفية المكانية فيحل محل (**في**)، بينما وصل بينهما

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الدعوات، باب التوبة، (٨/ ٦٨ح رقم: ٦٣٠٩) ، ومسلم في صحيحه: كتاب التوبة، (٤/٢١٠٥ح رقم ٢٧٤٧) بلفظه. .

في رواية الإمام البخاري، وعبر بحرف الجر (**في**) الذي يفيد الظرفية المكانية أي: أضله داخل الصحراء، في قوله: (**وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضٍ فَلاَةٍ**).

تعقيب:

من خلال ما سبق يتبين أنه قد تعددت الألفاظ المعبر بها عن الدابة بتعدد الروايات التي وردت فيها، وقد دارت بين (**الضالة، والراحلة، والبعير**)، حيث عبر عنها في الرواية الأولى والثانية بلفظ: (**الضالة**)، وهو لفظ عام ليشمل كل تائه من الحيوان وغيره، بينما عبر عنها في الرواية الثالثة والرابعة والسادسة والسابعة ورواية الإمام البخاري بلفظ: (**الراحلة**)، كما عبر عنها في الرواية الخامسة والثامنة ورواية الإمام البخاري بلفظ: (**البعير**).

واختلف نوع الأرض التي فقدت فيها الدابة، فتنوعت ألفاظها بين قوله: (**الفلاة، الدوية المهلكة، والقفر، والمنزل**) فعبر عنها بـ (**الفلاة**) في الرواية الأولى والخامسة والسابعة والثامنة، ورواية الإمام البخاري، بينما عبر عنها بـ (**الدوية المهلكة، والمنزل**) في الرواية الثالثة والرابعة ورواية الإمام البخاري، كما عبر عنها بـ (**القفر**) في الرواية السادسة، وهذا التنوع في التعبير أدى إلى تكامل معاني الروايات، وما تشير إليه من مقاصد.

وتعددت وسائل البحث عن الدابة، وكيفية العثور عليها، فمنهم من طلبها حين أدركه العطش أو اشتد عليه، ومنهم من سعي شرفًا مرارًا حتى وجدها، ومنهم من طلبها حتى شقَّ عليه، ومنهم من أيس من رجوعها.

وقد وفت الروايات بتأدية المعاني، وصورت من خلالها قبول توبة العبد تصويرًا بارعًا يأخذ الألباب، فتتلهف النفوس إلى التوبة بعد أن كانت مترددة فيها.

وأوجز التعبير في الرواية الثانية، وبين من خلالها أن الله تعالى يرضى عن توبة عبده أشد مما يرضى واجد ضالته، بينما أطنب في الروايات الباقية، ولعل المقام هو الذي استوجب ذلك.

والبحث يرى أن أبلغ الروايات: الرواية الثالثة في صحيح مسلم ورواية الإمام البخاري، حيث قال في صحيح مسلم: عَنْ عُمَارَةَ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ اللهِ أَعُودُهُ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَحَدَّثَنَا بِحَدِيثَيْنِ: حَدِيث عَنْ نَفْسِهِ، وَحَدِيث عَنْ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، يَقُولُ: " لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلِكَةٍ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ، فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ، ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِيَ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَاللهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ).

بينما قال في صحيح البخاري: (حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا أَبُو شِهَابٍ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنِ الحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، حَدِيثَيْنِ: أَحَدُهُمَا عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَالآخَرُ عَنْ نَفْسِهِ، قَالَ: «إِنَّ المُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ» فَقَالَ بِهِ هَكَذَا، قَالَ أَبُو شِهَابٍ: بِيَدِهِ فَوْقَ أَنْفِهِ، ثُمَّ قَالَ: " لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ

عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلًا وَبِهِ مَهْلَكَةٌ، وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ نَوْمَةً، فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ، حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الحَرُّ وَالعَطَشُ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ، قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي، فَرَجَعَ فَنَامَ نَوْمَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ).

وقد بينت الروايتان شدة فرح المولى – عز وجل - بتوبة عبده العاصي، فضرب لذلك أروع الأمثال النبوية تتلخص في قصة رجل نزل بأرض موحشة لا نبات فيها، يهلك من سار بها، وكل ما يملكه من الحياة راحلة تحمل طعامه وشرابه، نزل عنها ليقيل بعد عناء السفر، ولما أفاق من نومه على فقدها انطلق يبحث عنها، حتى أنهكه التعب، وبلغ منه الحر والعطش مبلغًا فعاد إلى مكانه الأول ينتظر الموت، وإذا به يرفع رأسه من نومه فيجد راحلته قائمة عند رأسه.

كيف توصف فرحة هذا الرجل الذي أشرف على الموت ثم عادت إليه الحياة؟ فكذلك حال العبد العاصي الذي أشرف على الهلاك بسبب ارتكابه للمعاصي، فإصراره عليها مع كثرتها استوجبت كثرة التفصيل، ليبين أنه مهما كثرت الذنوب والمعاصي فإن باب التوبة مفتوح، وأن الله يقبل عليه، ويرضى بها أشد ما يرضى واجد راحلته التي تحمل طعامه وشرابه، وبفقدها يفقد حياته، فكذلك العبد العاصي يفقد بمعصيته رضا الله عنه ورحمته في الدنيا والآخرة، وأن من أفاق من غفلته، وسعى في الطاعة للمولى – عز وجل - فاز برضاه في الدارين.

كما تبين من خلال الدراسة والبحث أن سبب اختلاف الروايات في الحديث النبوي هو: تعدد الحدث موضع الحوار، أو تعدد ألفاظ النبي ﷺ في مناسبات مختلفة، أو أن يكون سببه شهود عدد كثير من الرواة، فيروي كل واحد منهم ما وصل إليه سمعه، وما شاهده في

مجلس أو مناسبة غير التي سمعه فيها غيره أو فهمه من الحوار، ومدى قدرته على التعبير عن ذلك، أو يكون الراوي قد نقل الحديث بالمعنى.

وأدى اختلاف الروايات في هذا البيان النبوي إلى التنوع في الأساليب، والتنوع في الدلالة، وإلى ثراءٍ في البلاغة.

الخاتمـــة

وبعد هذه الرحلة الماتعة والممتعة في البيان النبوي الشريف أصلُ إلى نهاية المطاف لتسجيل أهم النتائج وبعض التوصيات:

أولاً: النتائج العامة، ومنها:

قد تبين من خلال دراستي للروايات المتعددة في الحديث الواحد: اتفاقها في المعنى، واختلافها في صيغة الخطاب والتعبير، واختلافها في الألفاظ، وتنوع أساليبها البلاغية، وسأذكر بعضًا منها فيما يأتي:

أما ما اتفقت فيه الروايات فهو كالآتي:

- اتفقت الروايات في المعنى العام، كما اتفقت في المقام الذي استدعى تعدد الروايات، وهو الحض على التوبة.
- اتفقت معظمها في الابتداء بصيغة أفعل التفضيل، فقال: (**لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ، لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ**)، وذلك للترغيب في التوبة، وبيان سرعة قبول المولى - عز وجل - لها، كما يقرر ويؤكد ما يهدف إليه الحديث من إثارة عواطف وانفعالات المخاطبين وتشويقهم إلى التوبة.
- **وأما عن التنوعات الأسلوبية والاختلافات اللفظية في الروايات فمنها ما يأتي:**
- **الخبر والإنشاء:** اتفق مطلع الروايات على أسلوب واحد، وهو الأسلوب الخبري باستثناء الرواية السادسة في صحيح مسلم، فقد ابتدأت بالأسلوب الإنشائي، ومن ذلك: (**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي، لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ**

الفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ)، بنى الكلام في هذه الروايات على أسلوب خبري، بينما ابتدأت الرواية السادسة بالأسلوب الإنشائي الطلبي المتمثل في الاستفهام التعجبي، حيث قال: **(كَيْفَ تَقُولُونَ بِفَرَحِ رَجُلٍ انْفَلَتَتْ مِنْهُ رَاحِلَتُهُ، تَجُرُّ زِمَامَهَا بِأَرْضٍ قَفْرٍ لَيْسَ بِهَا طَعَامٌ وَلَا شَرَابٌ، وَعَلَيْهَا لَهُ طَعَامٌ وَشَرَابٌ؟)**، وأتى الأسلوب الخبري في المقدمة، لتقرير المعنى وتأكيده في ذهن المخاطب؛ لأن سياق الأحاديث يحث على التوبة ويرغب فيها، لذا جاء بالأسلوب الخبري؛ لأن له تأثيرًا على العقل حين تعرض عليه الحقائق.

- **صيغة الخطاب:** تنوعت صيغة الخطاب بين الجمع والإفراد، حيث قال: (**أحدكم، تقولون، عبدي، عبده، عبده المؤمن، إِنَّ المُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ...، وَإِنَّ الفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ...)**، وإن كان المقصود بالخطاب جميع الحاضرين وغيرهم ممن يبلغه هذا الكلام للتعميم، وهذا من عظيم خلقه -ﷺ-.
- **التأكيد وتركه:** قد تأتي الجملة الاسمية غير مؤكدة في رواية ومؤكدة في روايات أخرى، كما في قوله في رواية الإمام البخاري: **(اللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ)**، ومن المؤكدات الداخلة على الجملة الاسمية: التأكيد **بـ (إن)** في رواية الإمام البخاري، حيث قال: **(إِنَّ المُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ)**، ومنه: التأكيد بلام الابتداء في رواية الإمام مسلم في قوله: **(لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ، مِنْ أَحَدِكُمْ بِضَالَّتِهِ، إِذَا وَجَدَهَا)**، ومنه: التأكيد بالقسم ولام الابتداء في

رواية الإمام مسلم في قوله: **(وَاللهِ لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلَاةِ).**

- **التعريف والتنكير:** ومن ذلك ورود لفظ (**الرجل**) في صحيح مسلم والبخاري معرفة في رواية واحدة في قوله: (**أَمَا وَاللهِ لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ، مِنَ الرَّجُلِ بِرَاحِلَتِهِ**)، ونكرة في أربع روايات، زيادة في تعميم أمره على الحاضرين، إذ لا فائدة من تعريفه، وذلك في قوله: (**مِنْ رَجُلٍ بِدَاوِيَّةٍ مِنَ الْأَرْضِ**)، وقوله: (**مِنْ رَجُلٍ حَمَلَ زَادَهُ وَمَزَادَهُ عَلَى بَعِيرٍ**) وقوله):**كَيْفَ تَقُولُونَ بِفَرَحِ رَجُلٍ انْفَلَتَتْ مِنْهُ رَاحِلَتُهُ**)، وقوله: (**مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلِكَةٍ**)،(**مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلًا وَبِهِ مَهْلَكَةٌ**).
- **الاختلاف في غالب ألفاظ الرواية:** لا يقتصر الاختلاف فيها على استبدال لفظة بأخرى، بل تعدى ذلك الاختلاف إلى أن بعض الروايات تقل فيها الألفاظ عن غيرها، **ومن ذلك في رواية الإمام البخاري**: عَنْ عُمَارَةَ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنِ الحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، حَدِيثَيْنِ: أَحَدُهُمَا عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَالآخَرُ عَنْ نَفْسِهِ، قَالَ: «إِنَّ المُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ» فَقَالَ بِهِ هَكَذَا، قَالَ أَبُو شِهَابٍ: بِيَدِهِ فَوْقَ أَنْفِهِ، ثُمَّ قَالَ: "لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلًا وَبِهِ مَهْلَكَةٌ، وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ نَوْمَةً، فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ، حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الحَرُّ وَالعَطَشُ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ، قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي، فَرَجَعَ فَنَامَ نَوْمَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ"، **وفي رواية الإمام مسلم** قال: عَنْ عُمَارَةَ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ:

دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ اللهِ أَعُودُهُ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَحَدَّثَنَا بِحَدِيثَيْنِ: حَدِيث عَنْ نَفْسِهِ، وَحَدِيث عَنْ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، يَقُولُ: " لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلِكَةٍ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ، فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ، ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِيَ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَاللهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ".

والجمع بين الروايات في الصحيحين له أهمية كُبْرى في دراسة البلاغة النبوية، حيث أدى إلى تكامل المعنى.

وباب اختلاف الروايات من أبواب البلاغة الدافئة التي يجب الندب إليها، والوقوف على أسرارها.

واختلاف الروايات نتج عن عدة أسباب، منها:

- اختلاف الراوي، مع السماح له بالرواية بالمعنى.
- تعدد المقامات التي ذكر فيها الحديث.
- الروايات المتعددة تسلم إلى ثراء الدلالة ورفعة البلاغة.
- الروايات المتعددة للحديث تتكامل وتكشف المعنى من كل جوانبه، فكل رواية تضيف جديدًا إلى المعنى.

ثانيًا: الظواهر البلاغية التي وردت في البحث:

- كان للأفعال الماضية الصدارة في التعبير عن اختفاء الدابة وكيفية البحث عنها، وجاءت الصورة مليئة بالحركة المعبرة عن المراحل

التي مر بها صاحبها، وذلك من خلال مجيئه بحروف العطف التي كان لها دور في تحديد وقت الحركة وطبيعتها.

- التقديم والتأخير بين المتعلقات، كما في رواية مسلم في أثناء حديث عن الراحلة في قوله: (**عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ**)، ورواية البخاري: (**عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ**).
- وكان من أهم ألوان الإيجاز: (الإيجاز بالحذف)، وكان المحذوف موصوفًا، وذلك للتفخيم والتعظيم من شأن الفرح في أثناء العثور على الراحلة.
- كما تعددت صور الإطناب منها: التوشيع، والتكرار، وذكر الخاص بعد العام، والإيضاح بعد الإبهام، أو التفصيل بعد الإجمال، وذلك من باب التأكيد والمبالغة، وليرى المعنى في صورتين مختلفتين وليتمكن في النفس فضل تمكن، ولأن المعنى إذا ألقى على سبيل الإجمال والإبهام تشوقت النفس إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح.
- وكان لاستخدام علم البيان بصوره المختلفة المتمثلة في التشبيه والمجاز المرسل والكناية،- وخاصة التشبيه التمثيلي- دور كبير في التعبير عن رضا المولى – عز وجل - بتوبة عبده العاصي حين يتوب إليه، وذلك لما له من قيمة كبيرة في أداء المعنى.
- ولا يخفى دور الكناية وذلك لما لها من قيمة بلاغية، فهي أبلغ من التصريح، حيث أفادت تأكيد المعنى وتقريره في نفس السامع.
- وتعددت الفنون البديعية اللفظية والمعنوية: أما اللفظية فقد جاء بالسجع عفو الخاطر، حيث طلبه المعنى واستدعاه.
- وأما المعنوية فقد انحصرت في مراعاة النظير، والمشاكلة، والمقابلة، والطباق.

ثالثًا: بعض التوصيات

وأما عن بعض التوصيات التي أوصي بها، فهي كالآتي:

١- الاهتمام بدراسة اختلاف الروايات في الحديث النبوي، وبيان أثر ذلك في إثراء المعنى.

٢- مواصلة البحث في الصحيحين بتناول باقي الروايات المختلفة، مثل تناول كتاب الإيمان وأبوابه، وكتاب الدعوات وغيرها، فهي في حاجة إلى دراستها.

وبهذا أكون قد وصلت إلى نهاية البحث، ولا أقصد بنهايته أنني قد أغلقت الباب على هذا الموضوع أمام الباحثين، بل الباب مفتوح لمن أراد المزيد، والله أسأل أن يلبس بحثي ثوب القبول، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، فإنه أفضل مأمول، وأكرم مسئول.

المصادر والمراجع

١. أثر اختلاف المتون والأسانيد في اختلاف الفقهاء، المؤلف: الدكتور ماهر ياسين الفحل، الطبعة الأولى،٢٠٠٣م، دار عمار للنشر والتوزيع.

٢. أساس البلاغة، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٣. الأسلوبية مدخل نظري ودراسة لفتح الله أحمد سليمان، ط ٢٠٠٤ م مكتبة الآداب.

٤. الإيضاح بتعليق البغية لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة: للشيخ عبد المتعال ط١، ٢٠٠٩م.

٥. البخاري بشرح الكرماني،الطبعة الثانية-١٤٠١هـ،١٩٨١م، دار إحياء التراث العربي بيروت.

٦. تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

٧. تيسير مصطلح الحديث، المؤلف: أبو حفص محمود بن أحمد بن محمود طحان النعيمي، الطبعة العاشرة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

٨. خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د محمد أبو موسى ط ٨, ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م مكتبة وهبة القاهرة.

٩. الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) حقق أصله، وعلق عليه: أبو اسحق الحويني الأثري، الطبعة: الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، الناشر: دار ابن عفان للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية – الخبر.
١٠. سنن ابن ماجه، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، وماجه: اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.
١١. شرح رياض الصالحين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الطبعة: ١٤٢٦ هـ، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض.
١٢. شرح الكافية الشافية, لجمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الطائي الجياني ت عبد المنعم أحمد هريدي, الطبعة الأولى, جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي.
١٣. صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله -ﷺ- وسننه وأيامه)، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
١٤. صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله - ﷺ-) ، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٥. الضوء اللامع المبين عن مناهج المحدثين، المؤلف: أحمد محرم الشيخ ناجي، الطبعة: الخامسة.
١٦. علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني, أ د، بسيوني فيود، الطبعة الرابعة، ٢٠١٥م، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة.
١٧. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
١٨. العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي،الناشر: دار ومكتبة الهلال.
١٩. لبّ البلاغة د/ بسيوني عرفة رضوان/١٤٢ (ط دار الرّسالة للطّباعة).
٢٠. لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (المتوفى: ٧١١هـ)، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ، الناشر: دار صادر – بيروت.
٢١. مراعاة النظير في كلام الله العلي القدير دراسة بلاغية في إعجاز الأسلوب القرآني، د. كمال الدين عبد الغني المرسي، ط١، ٢٠٠٥م، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.
٢٢. معاني التراكيب: دراسة تحليلية في مباحث علم المعاني, أ د، عبد الفتاح لاشين، ط١٩٩٩م، دار الفكر العربي- القاهرة.
٢٣. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.

٢٤. المعجم الوسيط المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر- محمد النجار) الناشر: دار الدعوة.
٢٥. من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم الفاء وثم، أ د محمد الأمين الخضري, ط١، ١٩٩٣م, مكتبة وهبة.
٢٦. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)،الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ه،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٢٧. منهج النقد في علوم الحديث المؤلف: نور الدين محمد عتر الحلبي، الطبعة: الثالثة ١٤١٨هـ -١٩٩٧م،الناشر: دار الفكر دمشق- سورية.
٢٨. النحو الوافي, لعباس حسن, الطبعة الثالثة. دار المعارف مصر.
٢٩. النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)،تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، ط ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.
٣٠. الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، أ. محمد أبو شهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ) ، الناشر عالم المعرفة جدة.